فرق الخوارج

إن مما ابتلى الفرق الإسلامية التفرق، فليس هناك فرقة إلاّ وقد تشعبت إلى شعب كثيرة، إلاّ من كان متمسكاً بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على منهج الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان, وهكذا كان الخوارج من الفرق التي انقسمت وتفرقت إلى فرق متعددة ، بل أن البغدادي يبلّغ تعداد فرقهم إلى عشرين فرقة.[209] وكثرت التفرق إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الأصول والأسس التي قامت عليها تلك الفرق ليست مستقيمة، ولم تكن مبنية على أسس متينة مبنية على العلم والاعتماد على الكتاب والسنة ، على نهج السلف الصالح. ومع كثرة فرق الخوارج إلاّ أن الفرق الأصلية ليست بذلك العدد الكثير, يقول الإمام أبو الحسن الأشعري : " وأصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة ، والإباضية والصفوية والنجدية، وكل الأصناف سوى الأزارقة، والإباضية والنجدية، فإنما تفرعوا من الصفرية"[210] وسنذكر إنشاء الله أهم الفرق فقط.

1- **الفرقة الاولى. المحكمة الأولى** : وهم أساس فرقة الخوارج ونواتها الأولى , ومنها تفرعت باقي الفرق. وهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حينما قبل التحكيم , ورفعوا شعار , لا حكم إلا لله – وقد اجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة, ولقد حاول علي رضي الله عنه أن يعيدهم إلى الصواب فجادلهم بالتي هي أحسن , وبين لهم الحق، ولكن نفراً منهم رفضوا قبول الحق، وركبوا على رؤوسهم واتبعوا ما زيّن لهم الشيطان, ولم يبقوا على معارضتهم للتحكيم بل غلوا وتطرفوا خاصة حينما قتلوا عبدالله بن خباب بن الأرت ، وزوجته ، وقد قاتلهم علي في وقعة النهروان[211]، وبعد تلك الوقعة انكسرت شوكتهم ولكنهم لم تطفئ جمرتهم بل كان هناك من خرج على علي كما يذكره البغدادي وكان من نتائج خروجهم أن قتلوا علياً اغتيالاً ، ولما استوت الولاية لمعاوية كان هناك جماعة خرجت عليه وعلى من بعده وكل هؤلاء كانوا على رأي المحكمة الأولى .[212]

---

[209] - البغدادي – الفرق بين الفرق – ص 17.
[210] - الأشعري – مقالات الإسلامية – جـ1 – ص 183.
[211] - انظر ابن الأثير_ الكامل في التاريخ _ جـ3_ ص218.
[212] - انظر - البغدادي – ص 55.

مبادئ المحكمة الأولى

ومن مبادئ هذه الفرقة أي المحكمة الأولى[213] :

1- الإمامة حق مشترك بين الأمة ، تجوز أن تكون في غير قريش ، ويختار الإمام بطريقة حرة، ويشترط للإمام أن يكون عدلاً ويعاشر الناس بالحسنى، وأن يجتنب عن الجور .

2- إكفار علي ، وعثمان وأصحاب الجمل، ومعاوية ، وأصحابه والحكمين، ومن رضى بالتحكيم وإكفار كل ذي ذنب ومعصية[214].

3- وجوب عزل الإمام أو قتله إذا جار, ولو في نظرهم فقط

4- جواز أن لا يكون للمسلمين إمام أصلا.

5- جواز قتل الأطفال والنساء.

6- تكفير مرتكب الكبيرة.

7- تكفير جميع مخالفيهم.

2- الفرقة الثانية. الأزارقة :

أشد فرق الخوارج غلواً وتطرفاً ، وهم أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق الحنفي يقول البغدادي : "ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة "[215]. وكان نافع يلتقي عبدالله بن عباس ويسأله عن تفسير القرآن حتى ملّه وضجر منه ابن عباس[216] وقد تفرس ابن عباس منه انحرافه وشذوذه. وذهب نافع ومعه رؤساء الخوارج وجماعات منهم إلى مكة ليدافعوا حرم الله مع ابن الزبير من جيش الشام، ولم يمنع ابن الزبير ذلك، بل وسر بمقدمهم ونبأهم بانه على رأيهم. وأعطاهم الرضا من غير توقف ولاتفتيش فقاتلوا معه ضد مسلم بن عقبة ولكنهم لم يدخلوا معه البيعة، وكانوا معه حتى مات يزيد بن معاوية وانصرف اهل الشام عن مكة[217].

ثم إن نافع وأصحابه أرادوا اختبار عبدالله بن الزبير ليعرفوا رأيه فيما يعتقدونه، وسألوه عن الخلفاء الراشدين جميعاً، وهم كانوا يوالون أبا بكر

---

[213] - انظر – الحمد- عبد القادر بن شيبة – الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة- دار الزمان – المدينة-ط1- ص159.

[214] - انظر – البغدادي / ص 54 – والشهرستاني – جـ1 – ص 134.

[215] - البغدادي – ص 56.

[216] - جلي – أحمد محمد – مصدر سابق – ص 66 نقلاً عن الكامل للمبرد .

[217] _ الطبري_ تاريخ الأمم والملوك – جـ5-ص64.وابن الأثير – الكامل في التاريخ- جـ3-ص490.

وعمر ويتبرؤون من عثمان وعلي. فتبين لهم أن ابن الزبير يتولى جميع الخلفاء والصحابة ولا يكفر واحداً منهم، كما هو رأيهم من هنا فارقوه. فتوجه نافع وجماعة منهم إلى البصرة بينما توجه الآخرون إلى اليمامة ، وبدأ نافع الجهر بآرائه في البصرة[218] وبايعت الخوارج نافع ابن الأزرق وسموه أمير المؤمنين. وذلك في سنة 65هجرية. ويقول ابن الأثير: "وفي هذه السنة اشتدت شوكت نافع بن الأزرق وهو الذي ينتسب إليه الأزارقة من الخوارج, وكان سبب قوتهم اشتغال أهل البصرة واختلافهم بسبب مسعود بن عمرو وقتله, وكثرة جموعهم"[219].

وكان أول خروجه بالبصرة في عهد عبد الله بن الزبير رضي الله عنه, وانضم إليه قطري بن الفجاءة المازني التميمي وعبيدالله بن الماحوز التميمي وعبيدة بن هلال اليشكري وعبد ربه الكبير بائع الرمان وعبد ربه الصغير معلم الصبيان.
وساروا فيمن انضم إليهم من خوارج عمان واليمامة نحو الأهواز وهم أكثر من عشرين ألف فاستولوا عليها وقتلوا عاملها ثم استولوا على ما يليها من بلاد فارس وكرمان وقتلوا عمال هذه الجهات. فطلب عبدالله بن الزبير من أميره على البصرة, عبيد الله بن الحارث النوفلي الخزاعي, أن يحاربهم, فوجه إليهم قائد جيشه مسلم بن عبس في جيش كثيف فتلاقوا بالأهواز وقتل مسلم قائد جيش البصرة وأكثر أصاحبه, فأرسل أمير البصرة إليهم جيشا آخر بقيادة عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي في ألفي فارس فهزموه وقتلوا قائده, فأرسل جيشا آخر بقيادة حارثة بن بدر فهزموه. واشتدت شوكتهم في عام خمس وستين من الهجرة وخشي أهل البصرة على أنفسهم منهم, فاختار عبدالله بن الزبير لحربهم المهلب بن أبي صفرة الازدي وكان بخرسان وأمّره كذلك على الأهواز وما يليها من بلاد فارس وكرمان. فذهب المهلب إلي البصرة واختار من جيشها عشرة آلاف مقاتل ثم انضم إليه كذلك من قبيلته الازديين عشرة آلاف أخرى . فسار بهم إلى الأهواز والتقى بالأزارقة فهزمهم في معركة دولاب وقتل أميرهم نافع بن الأزرق في تلك الهزيمة. فبايع الأزارقة بعده عبدالله بن الماحوز التميمي وأمّروه عليهم فتبعهم المهلب بالأهواز وقتل أميرهم مع ثلاثمائة من أشهر رجالهم وانهزم

[218] - جلي – أحمد محمد- مصدر سابق –ص- 67.
[219] - ابن الأثير_ الكامل في التاريخ- جـ4-ص15.

الباقون, وأمّروا عليهم قطري بن الفجاءة المازني التميمي ولقبوه بالخليفة وأمير المؤمنين[220].

ولقد ثبت المهلب وبنوه على قتال الخوارج تسع عشرة سنة بعضها كانت في أيام عبدالله بن الزبير وبعضها في خلافة عبدالملك بن مروان. وكان الحجاج في ولايته على العراق قد اختار المهلب على حرب الأزارقة, وذلك أن المهلب كان على معرفة تامة بحرب الخوارج وأساليبهم[221]. وكان المهلب يعتن بوجه خاص بالعمل على بذر بذور الشقاق والخلاف في صفوفهم. ونجح في ذلك حيث بدأت الاهواء والخلافات تفرق بين الازارقة ففارق عبد ربه الكبير قطرياً وصار إلى واد بجيرنت كرمين في سبعة آلاف رجل، وفارقه عبد ربه الصغير في أربعة آلاف وصار إلى ناحية أخرى من كرمان وبقي قطري في بضعة عشر ألف رجل بأرض فارس ، وقاتله المهلب بها، وهزمه إلى أرض كرمان ثم قاتله بكرمان حتى هزمه إلى الري. ومازال المهلب وابنه يزيد يتعقبونه حتى أتوا على آخرهم وقتل قطري في طبرستان، وكذلك قتل عبيدة بن هلال اليشكري في حصن قومس وكان ذلك آخر خبر الأزارقة. وقد اشتهروا بالتطرف والغلو والعنف والقسوة وشدة البطش والبأس وإرهاب رعايا مخالفيهم حتى زلزلت البصرة خوفاً منهم، وتاريخهم مليء بالنهب والسلب والقتل وعدم الشفقة ، حتى فيما بينهم كان العنف شديداً ويشتد القتل فيهم إذا وقع الخلاف بينهم. وكانت الأزارقة يتولون المحكمة ويرون رأيهم مثل إكفارهم عليا حتى قالوا بجهل مطبق إنّ هذه الآية نزلت فيه : {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام} [البقرة 204] كما صوبوا قتله وعدوا ابن ملجم قاتله من الذين شروا أنفسهم.[222]

مبادئ هذه الفرقة[223] .

1- تكفير علي رضي الله عنه, كما كفّروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبدالله بن عباس وسائر المسلمين.

2- تكفير مرتكب الكبيرة من هذه الأمة ، وأن كفره كفر ملة، يخرج به عن الإسلام ويكون مخلداً في النار .

---

[220] - الحمد – عبد القادر بن شيبة- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة. دار الزمان . المدينة. ط1-ص160-162.

[221] - الطبري_ تاريخ الأمم والملوك_ جـ6_ص211.

[222] - انظر – جلي – أحمد محمد ص 68.

[223] - انظر – البغدادي – ص56 – الشهرستاني – جـ1 ص 190 ، جلي – ص 69. والحمد ص162-163.

3- اعتبار دار مخالفيهم دار كفر، وأن مخالفيهم مشركون – فيستباح منها ما يستباح دار الحرب .
4- إباحة قتل أطفال مخالفيهم، والنسوان معهم – لأنهم الحقوا بهم في الشرك، واستباحوا كذلك غنيمة أموال مخالفيهم وأنه لا أمانة لمخالفيهم ولا عهد لهم.
5- إكفار القعدة عن الهجرة إليهم, ممن كان على رأيهم .
6- إسقاط حد الرجم عن الزاني – إذ ليس في القرآن ذكره – وإسقاط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال .
7- أجازوا أن يبعث الله نبياً يعلم انه يكفر بعد نبوته .
8- قطع يد السارق في القليل والكثير دون اعتبار النصاب للقطع، وتقطع يد السارق من المنكب .
9- أوجبوا على الحائض الصوم والصلاة في حيضها .
10- حرموا قتل النصارى واليهود ، بينما أباحوا قتل المسلمين. يقول الدكتور أحمد محمد جلي : "وهذه الآراء فيها الجهل وعدم العلم والفهم للقرآن، وعدم الإلمام بالسنة، ويصدق عليهم بهذا قول الرسول: "يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم"[224] بل ويدل على نفسية عدوانية شاذة متطرفة غير سوية، وإلاّ كيف يستبيحون قتل الأطفال والنساء وأي عقل أودين يقر ذلك. وبناء على رأيهم المعوج ونفسيتهم العدوانية أرهبوا المسلمين، واستباحوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم. ويصدق عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان" رواه البخاري ومسلم[225].
11- قطعوا بأن أطفال مخالفيهم مخلدون في النار.
12- تحريم التقية في القول والعمل.
13- يجب امتحان مخالفيهم ومن قصدهم مهاجرا, وطريقة امتحانهم أن يقرب إليه أسيرا من مخالفيهم ليقتله فأن قتله وإلاّ اعتبروه منافقا وقتلوه.

[224] - جلي – أحمد محمد – مصدر سابق – ص 70.
[225] - البخارى – حديث رقم 3344- مسلم حديث رقم 2448.

3- الفرقة الثالثة النجدات :

هم اتباع نجدة بن عامربن عبدالله الحنفي ، وكان نجدة ممن انضم إلى عبدالله بن الزبير للدفاع عن الحرم، ثم فارقه مع نافع ابن الأزرق، وتخلف عن نافع عند عودتهم من مكة تخلف باليمامة، وكان يريد أن يلحق به، لكن بلغه بما أحدثه من البراءة عن القعدة، وتسميتهم مشركين واستحلال قتل أطفال مخالفيه ونسائهم ، حينئذٍ انفصل عنه وفارقه ورجع إلى اليمامة[226].
وكان جماعة من إتباع نافع ابن الأزرق قد فارقته مثل أبو فديك وعطية الحنفي، وراشد الطويل، ومقلاص، وأيوب الأزرق وغيرهم بسبب ما أحدثه نافع من براءته القعدة. فاجتمعوا مع نجدة وبايعوه ، وأمّروه وكانت لنجدة واتباعه نفوذ في اليمامة والبحرين وعمان وبعض أجزاء من اليمن. ويبدوا أنهم كانوا يستحلون دماء مخالفيهم وأموالهم وأنهم يسبون نساء مخالفيهم, فقد ذكر أن نجدة غزا أهل ذي المجاز وقتلهم قتلا ذريعا ثم رجع إلى اليمامة ومنها إلى البحرين, والتقى ببني عبد القيس في القطيف وقتلهم قتلا ذريعا وسبي من قدر عليه منهم وأقام نجدة بالبحرين مدة[227]. ويذكر أن نجدة سار إلى صنعاء فبايعه اهلها, واستولى على صدقاتها ثم بعث أبا فديك إلى حضرموت فجبى صدقاتها, ثم حج نجدة عام 68 أو 69هجرية في جماعة كثيرة من أصحابه, وصالح ابن الزبير على أن يصلي كل واحد منهما بأصحابه ويقف بهم في عرفة, ولا يتعرض بعضهم لبعض بالأذى. فلما انتهى الحج أراد نجدة أن يغزو المدينة النبوية, فتأهب أهلها لقتاله, وجاءت الاخبار إلى نجدة بأن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قد تقلد سيفه واستعد لقتال نجدة وأصحابه, فرجع نجدة إلى الطائف فبايعه أهلها, ثم توجه إلى البحرين وقطع ما كان يرسل من البحرين واليمامة من الميرة عن أهل الحرمين, حتى كاتبه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في ذلك فردها لهم. واستمر تسلط نجدة على هذه الأقاليم حتى اختلافهم[228]. وهذا يدل على قوة هذه الفرقة, حيث تمكنت على امتلاك كل هذه الأقاليم المتباعدة, والسبب الذي سهل لهم كل ذلك هو الخلاف والحرب التي كانت قائمة بين عبدالله بن الزبير رضي الله عنه , وبين عبدالملك بن مروان.
ثم إن أصحاب نجدة اختلفوا عليه لأبسباب نقموا عليه , فمنها: أن أباسنان حباب بن وائل أشار على نجدة بقتل من أجابه تقية, فشتمه نجدة فهم بالقتل

---

[226] - ابن الأثير – الكامل في التاريخ_ جـ4- ص20.
[227] - الحمد- عبد القادر بن شيبة_ الأديان والفرق- ص167. وابن الأثير_ الكامل في التاريخ- جـ4-ص22.
[228] - الحمد _ الأديان والفرق _ ص166.

بـه, فقـال نجـدة : كلـف الله أحـدا علـم الغيـب؟ قـال لا. قـال فإنمـا علينـا الحكـم بالظاهر. فرجع أبوسنان إلى نجدة.
ومنهـا أن عطيـة بـن الأسـود خـالف علـى نجـدة. وسـببه أن نجـدة سـير سـرية بحرا وسرية برا فـأعطى سرية البحر أكثر من سرية البر, فنازعـه عطيـة حتى أغضبه, فشتمه نجدة فغضب عليه وألب الناس عليه.
وكلم نجدة في رجل شرب الخمر في عسكره فقال هو رجل شديد النكاية علي العدو وقد استنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركين. ومنهـا أن عبد الملك بن مروان كتب إلى نجدة يدعوه إلى طاعته ويوليه اليمامة ويهدر له ما أصاب من الأموال والدماء. فطعن عليه عطية وقال: ما كاتبه عبد الملك حتى علم منه دهانا في الدين وفارقه إلى عمان[229].
ومنها ما حصل من ابنه المضرج ومن كان معه حيث تصرفوا بالغنيمة قبل قسمتها ، ونكحوا النساء قبل القسمة ، ولما بلغ الخبر نجدة عذرهم بسبب الجهل قال : إن الدين أمران : أحدهما معرفة الله ومعرفة رسله عليهم السلام وتحريم دماء المسلمين وأموالهم وتحريم الغصب والإقرار بما جاء من عند الله جملة فهذا واجب . وما سوى ذلك فالناس معذورون بجهالته حتى تقوم عليهم الحجة في جميع الخلال. فعندما عذر هؤلاء وقع الخلاف بينهم فبرئ منه أبو فديك وكثير من أصحابه , فوثب عليه أبوفديك فقتله وبويع له . ثم إن أصحاب نجدة انكروا ذلك على أبي فديك, وتولوا نجدة وتبرؤو من أبي فديك, وكتب أبو فديك إلى عطية بن الأسود وهو عامل نجدة بالجوبر يخبره أنه أبصر ضلالة نجدة, فقتله. واعتقد أنه أحق بالخلافة منه, فكتب عطية إلى أبي فديك أن يبايع له من قبله, وأبى ذلك أبو فديك, فبرئ كل واحد منهما من صاحبه, وصارت الدار لأبي فديك, صاروا معه, إلاّ من تولى نجدة. وازدادت حدة الخلاف بينهم حتى صاروا ثلاث فرق[230].

مبادئ النجدات :[231]

الذي يبدو أن نجدة كان موافقاً لنافع في أكثر المبادئ وإنما خالفه في بعض الأشياء منها إكفار القعدة فنجدة يتولى القعدة ولا يكفرهم بل يكفّر من كفرهم حتى كفروا نافع بن الأزرق. كذلك أنكر نجدة على نافع استباحة قتل

---

[229] - ابن الأثير – الكامل في التاريخ _ جـ4- ص22-23.
[230] - الأشعرى_ أبو الحسن علي بن اسماعيل_ مقالات الإسلاميين_ جـ1-ص175-176. و جلى – أحمد محمد_ ص 72.
[231] - انظر – البغدادي – ص 59 – الشهرستاني جـ1- ص 142- جلي – 71.

الأطفال فهو لا يرى قتل الأطفال. وكان نافع لا يجيز التقية للقعدة ، فأجازها نجدة وأجاز القعود عن الجهاد، وإن كان يرى أن الجهاد أفضل إن أمكن.
تولى أصحاب الحدود من موافقيه، فهو يتولى بهم ولا يتبرء منهم ويقول: لعل الله يعذبهم بذنوبهم في غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة .
يرى كذلك أن من أصرّ على الصغائر فهو مشرك, ومن وقع في الكبائر من موافقيه إذا لم يكن مصراً عليها فهو مسلم ، ويرى أن مخالفيه يدخلون النار .
أسقط حد الخمر : واستحل دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في حال التقية .
ويمكن أن نلخص مبادئهم بالنقاط التالية توضيحا لما ذكرنا[232].

1- عدم تكفير القعدة منهم عن الهجرة إليهم.
2- تكفير من خالفهم من المسلمين, وتكفير نافع بن الأزرق وجماعته- إلاّ الجاهل فإنه معذور عندهم حتى تقام عليه الحجة.
3- موالاة اصحاب الحدود , والجنايات ممن كان على مذهبهم, مع الحكم بتخليدهم في النار.
4- تكفير من أكفر القعدة منهم عن الهجرة إليهم.
5- أنه لا يدخل جهنم أحد من موافقيهم وإن عذبوا فبغير جهنم.
6- اسقاط حد الخمر.
7- الاصرار على الصغيرة شرك, وارتكاب الكبائر دون اصرار ليس بشرك, إذا كان المرتكب من موافقيهم .
8- الناس ليسوا بحاجة إلى إمام قط.
9- تباح دماء إهل الذمة الذين يساكنون مخالفيهم كما تباح دماء من يعيشون في كنفهم من المخالفين.
10- جواز التقية وهي أن يظهر الخارجي أمام مخالفيه أنه معهم حقنا لدمه, ويخفي عقيدته إلى وقت يتمكن من الإنقضاض على مخالفيه.
11- الحكم على دار مخالفيهم بأنها دار نفاق وكفر.

4- الفرقة الرابعة الصفرية :

تنتسب هذه الفرقة إلى زياد ابن الأصفر هكذا ذكره الأشعري وتبعه البغدادي والشهرستاني[233]، ولكن الدكتور أحمد محمد جلي يرجح أن هذه

---

[232] - انظر كلا من – الحمد- ص 167-168. والحوالى – سفر بن عبد الرحمن- أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية المعاصرة- من موقع صيد الفوائد- ص30.www.saaid.net

الفرقة تنتسب إلى عبدالله بن صفار التميمي الذي كان مع ابن الأزرق في بداية عهده ثم انفصل عنه عند وقوع الخلاف بين قادة الخوارج.[234]
ويقول الدكتور عبد القادر بن شيبة الحمد بعد أن ذكر الخلاف في تسميتهم في هذا الاسم: "والمختار عندنا أنهم سموا الصفرية بضم الصاد إشارة إلى صفرة وجوههم من أثر ما تكلفوه من العبادة, إذ أن هذا الوصف هو الغالب عليهم, كما أن الناس اتفقوا على أن أعظم أئمتهم هو أبو بلال مرداس بن أدية وقد قتل مرداس هذا عام 61هـ. فهذا الوصف ثابت لهم قبل تزعم عبدالله بن الصفار أو زياد بن الأصفر, لاسيما وأن هذين الرجلين لم يقوما بشأن خطير في هذا الفريق من الخوارج[235].
ولم يذكر الأشعري عن تاريخ هذه الفرقة ونشاطاتها شيئاً وإنما ذكر آرائهم واعتقاداتهم. وكذلك الشهرستاني لم يذكر عنهم شيئا كثيرا وإنما ذكر أنهم أصحاب صالح بن مسرح, وأنه قام بينهم وبين الحجاج حرب, وجرح صالح واستخلف مكانه شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني المكنى بأبي الصحاري, وقاتل شبيب ضد الحجاج وقتل من أمرائه أربعة وعشرين أميرا, ثم انهزم إلى الأهواز وغرق في نهر الأهواز[236].
ويذكر البغدادي[237] وكذلك ابن كثير أنه في سنة 76هـ اجتمع صالح بن مسرح أمير الصفرية وشبيب ابن يزيد أحد شجعان الخوارج ، وأخذوا دواب محمد بن مروان نائب الجزيرة فنفروا بها وأقاموا بارض داراً ، فبعث إليهم محمد بن مروان خمسمائة فارس، ثم زاد عليهم خمسمائة أخرى. فلما التقوا هزمتهم الخوارج هزيمة شنيعة، ثم أرسل إليهم جيوشاً أخرى , والخوارج تهزمهم كل مرة هزيمة منكرة . ثم خرجت الخوارج من الجزيرة وأرسل الحجاج على إثرهم ثلاثة آلاف مقاتل، فالتقوا, والصفرية لا تزيد عن تسعين شخصاً , وقتل في هذه المعركة رأسهم صالح بن مسرح، وفي الليل بيّت الخوارج جيش الحجاج فهزموهم، ثم أمّرت الصفرية عليهم شبيباً، ثم كان بين الصفرية , وأميرهم شبيب, وبين جيش الحجاج حروب كثيرة , كان النصر في غالبها للصفرية والهزيمة لجيش الحجاج. يقول ابن كثير: "واستفحل أمر شبيب وتزلزل له عبدالملك بن مروان والحجاج وسائر الأمراء وخاف عبدالملك منه خوفاً شديداً فبعث له جيشاً من أهل الشام فقدموا في السنة الآتية وإنما مع شبيب شرذمة قليلة وقد

---

[233] - انظر الأشعري جـ1-ص182- والبغدادى ص61- الشهرستاني جـ1-159.
[234] - جلي – أحمد محمد – ص 72.
[235] - الحمد – عبد القادر بن شيبة- الأديان والفرق – ص171.
[236] - الشهرستاني_ الملل والنحل_ جـ1_ص147-148.
[237] - انظر الغدادي- عبد القاهر بن طاهر- الفرق بين الفرق- ص75-76. ولكنه يسميه هذه الفرقة الشبيبة.

ملأ قلوب الناس رعباً"[238]. ومازال أمر شبيب وجيشه القليل من الخوارج يستفحل والحجاج يرسل إليهم الجيوش الجرارة, جيشاً إثر جيش وقد تولى الحجاج قيادة حربهم بنفسه وذلك لبسالة شبيب حتى غرق في نهر الدجيل في سنة 77هجرية[239].

وذكر الدكتور الحمد كذلك أن أول خارج من الصفرية هو أبو بلاب مرداس بن أدية بن حدير الحنظلي التميمي, وكان كثير من الخوارج يعظمونه لكثرة اجتهاده وعبادته, وأنه خرج لما راى اجتهاد عبيدالله بن زياد في طلب الخوارج وقتلهم والتمثيل ببعض نسائهم. وكان أبو بلاب هذا يريد أن يجتنب الصدام بالدولة الأموية, ولكنه لما راى ذلك قال: "والله ما يسعنا المقام بين هولاء الظالمين تجري علينا احكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفضل ....." فلما خرج اجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا وولوه عليهم, ثم مضى بهم حتى نزل ب(آسك) وهي ما بين رامهرمز وأرجان. وكان إذا مر به خراج الدولة يأخذ شئا منها ويترك الباقي. وكان لا يريد القتال, ولكن عبيدالله بن زياد أرسل إليهم الجيوش ليقبضوه أويقتلوه وكان مع أبي بلال عدد قليل من الرجال, ربما لا يجاوز أربعين رجلا, وكان أبو بلال ورجاله يهزمون جيوش عبيدالله بن زياد. وفي احد الأيام وقع الحرب بين الفريقين حتى حان وقت الصلاة, فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلي وتصلوا, فقالوا لك ذلك. فتوقف القتال ورمى القوم اسلحتهم وعمدوا للصلاة, فلما ركع الخوارج وسجدوا مال عليهم جيش عبيدالله بن زياد فقتلوهم جميعا عام61هـ وأخذوا رأس أبي بلال. وبعد موت أبي بلال اختار الصفرية لرآستهم عمران بن حطان السدوسي شاعر الخوارج, ولكن عمران لم يعمل شيئا يذكر فقد هرب من الحجاج وذهب إلى الشام وكان ينتقل من حي إلى حي هربا بنفسه, ولكن كان يقوم بالدعوة إلى مذهب الخوارج, حتى مات مختفيا عام84هـ[240]. ولكن الذين أظهروا مذهب الصفرية وحاربوا جيوش الحجاج بن يوسف وهزموهم وزلزلوا الدولة الأموية هم الذين ذكرهم الإمام بن كثير, شبيب واصحابه, كما مر بنا آنفا. ولقد تحدث الإمام الطبري عن شبيب وأصحابه وما قاموا به من الحرب ضد الدولة الأموية, وذلك في حوادث سنة 76- 77هـ. تحدث ذلك بإسهاب[241], مما يدل على قوة هذه الفرقة وبسالتها وشدة بأسها.

---

[238] - ابن كثير – البداية والنهاية – جـ9- ص 14-16.

[239] - المصدر نفسه جـ-9- ص 22.

[240] - الحمد – ص 172-175. بتصرف. وانظر ابن الأثير_ الكامل في التاريخ- جـ3-ص444.

[241] - الطبري_ تاريخ الأمم والملوك- جـ6_ص212_289.

ويذكر الدكتور أحمد محمد جلي أن الصفرية قامت بعدة ثورات في الشمال الأفريقي، حيث خرج ميسرة المضفري بنواحي طنجة . وحمل البربر على الخروج عن طاعة الخليفة وذلك في عهد هشام ابن عبدالملك واستطاع أن يخضع سائر المغرب الأقصى جنوب طنجة حتى وصل إلى السوس, وبويع بالخلافة البربر بأمير المؤمنين وأخمدت هذه الحركة عام 123هـ . كذلك كانت بعض الثورات الصفرية في العهد العباس في المغرب الأقصى بقيادة عيسى بن أبي زيد، وقد تمكنوا أن يقتطعوا لأنفسهم مدينة سلجماسة عام 140هـ . كما كانت هناك ولاية خارجية صفرية تحت زعامة أبي قرة الصنهاجي الذي استطاع أن يحاصر القيروان وأن يتولى عليها[242]. وهكذا نرى أن بأس الصفرية لم يكن أقل من بأس الأزارقة والنجدات، وإن كانت الصفرية أقل حدة في بعض الاعتقادات من الأزارقة.

مبادئ الصفرية[243] :

1- الصفرية كغيرهم من الخوارج تتولى المحكمة الأولى وهذا يعني أنهم يوافقونهم في اعتقاداتهم .

2- منهم من يرى أن أصحاب الذنوب مشركون .

3- ومنهم من فرق بين الكبائر فما كان من الأعمال عليه حد لا يجاوز صاحبه أن يسمى باسم هذا الترتيب فيقال زان وسارق ، وكل ذنب ليس له حد كترك الصلاة والصوم فصاحبه كافر.

4- لا يكفرون القعدة عن القتال منهم إذا كانوا موافقين بهم في الدين والاعتقاد.

5- لا يكفرون أطفال مخالفيهم ويحكمون تخليدهم بالنار ولا يبيحون قتلهم .

6- التقية جائزة عندهم في القبول دون العمل.

7- يجيزون تزوج المسلمات منهم من كفار قومهم في دار التقية دون العلانية

8- لا يسقطون حد الرجم .

9- وقالت طائفة منهم أنه متى بعث نبي ففي حين بعثته في ذلك الوقت يلزم جميع أهل المشرق والمغرب الإيمان به, وإن لم يعرفوا جميع ما جاء به من الشرائع, ومن مات قبل أن يبلغه شيئ من ذلك مات كافراً.

---

[242] - جلي - أحمد محمد – مصدر سابق – ص 74.

[243] - انظر جلى – احمد محمد- ص73- و الحمد- 177.

10- وقالت طائفة منهم بجواز تولي المرأة الأمامة العظمى كما فعلوا بغزالة بعد مصرع شبيب.

5- الفرقة الخامسة الإبـــاضـيـــة :

ترجع نسبة هذه الفرقة إلى عبدالله بن إباض بن تيم اللات بن ثعلبة التميمي وكان ابن إباض مع نافع بن الأزرق وعبدالله بن صفار حينما اجتمعوا مع عبدالله ابن الزبير أيام محنته للدفاع عن الحرم وحينما سألوا ابن الزبير رأيه عن الخليفة عثمان رضي الله عنه فخالف رأيهم وأسمعهم بما يسوؤهم . خرجت الخوارج من مكة واتجه بعضهم إلى البصرة بينما اتجه نجدة إلى اليمامة ، وكان ممن اتجه إلى البصرة نافع وعبدالله بن إباض . وبدأ نافع نشاطاته الخروجية في البصرة ، ثم خرج ولحق بالأهواز وذلك في سنة 64هـ وأظهر عقيدته المتطرفة ومن عقائد المتطرفة البراءة من القعدة من أصحابه ممن لا يرون الخروج والمحاربة. ثم كتب نافع إلى ابن إباض وابن صفار يدعوهما ومن معهما إلى ذلك فقرأ ابن صفار الكتاب ولم يقرأه على أصحابه خشية أن يتفرقوا ويختلفوا، فأخذه ابن إباض فقرأه فقال : "قاتله الله أي رأي رأى؟ لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً , وكانت سيرته كسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المشركين، ولكنه كذب فيما يقول، إن القوم براء من الشرك ولكنهم كفار بالنعم والأحكام ولا يحل لنا إلاّ دماؤهم ، وما سوى ذلك فهو حرام علينا. فقال له ابن الصفار : بري الله منك فقد قصرت وبرئ من ابن الأزرق فقد غلا ، فقال ابن إباض بري الله منك ومنه.[244] وهذا الكلام يدل على خلاف عبدالله بن إباض، بعض أراء نافع بن الأزرق المتطرفة، وإن كان يوافق بعض الأراء كاستحلال الدم. ويذكر أنه بعد قتل أبي بلال الخارجي اجتمع الخوارج في جامع البصرة وعزموا على الخروج، وفيهم عبدالله بن إباض ونافع بن الأزرق وغيرهم. وفي الليل سمع ابن إباض دوي القراء ورنين المؤذنين وحنين المسبحين فقال لأصحابه : " أعن هؤلاء أخرج معهم فرجع وكتم أمره"[245] ويظهر من هذي النقول أن ابن إباض كان من رؤساء الخوارج في ثورتها الثانية إلاّ إنه كان أقل تطرفاً من غيره من رؤساء الخوارج.

---

[244] - طعيمة – صابر – الإباضية عقيدة ومذهبا – دار الجيل – بيروت – دت – ص 296 – نقلاً عن الكامل لابن الأثير.

[245] - جلي – أحمد محمد – مصدر سابق ص 76.

وكان من رأي عبد الله بن إباض أن مخالفيهم من أهل القبلة ليسوا مؤمنين ولامشركين ولكنهم كفار, ومع ذلك لم يحرم مناكحتهم ومواريثهم وشهاداتهم, ولو على أوليائهم بدعوى أن معهم دعوة المسلمين تجمعهم. كما لم يبح دمائهم في السر, وإن استباحها في العلانية. وراى عبدالله بن إباض كذلك أن أموال مخالفيهم لاتحل لهم عند الغنيمة, إذا كانت ذهبا أو فضة. أما الخيل والسلاح وما يكون من آلة القتال فإنه حلال. وقد عرف عن ابن إباض أنه كان ألين الخوارج قولا, وأحبهم للمسألمة ولذلك استمر موادعا إلى عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية, ثم خرج حينئذ فأرسل إليه مروان جيشا بقيادة عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة فقضى عليه[246].

والإباضية يقولون إن أصولهم تعود إلى جابر بن زيد أبي الشعثاء التابعي الكبير, ويعتبرونه المؤسس الحقيقي لمذهبهم , إذ أنه كان الإمام الروحي وفقيه الإباضية ومفتيهم ، وكان بالفعل الشخص الذي بلور الفقه الإباضي بحيث أصبح متميزاً عن غيره من المذاهب بينما كان ابن إباض المسئول عن الدعوة في شتى الأقطار, حسب زعمهم[247].

ومكانة جابر بن زيد العلمية مشهورة يقول الإمام ابن كثير : "كان أبو الشعثاء من الذين أوتوا العلم وكان يفتي في البصرة، وكان الصحابة مثل جابر بن عبدالله إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول : كيف تسألون وفيكم أبو الشعثاء؟"[248] ومكانته العلمية وتوثيقه أشهر من أن تذكر إلا أن هناك روايات كثيرة تؤكد أن عقيدة جابر بن زيد كانت إباضية قال يحيى بن معين وهو إمام الجرح والتعديل : "كان جابر بن زيد إباضياً".[249] لكن هناك ما يثير شكاً في ذلك , وذلك موقفه من الخوارج فقد كان موقفاً سلبياً، فعندما دخل عليه أبو هلال الراسبي وقال له في رأي الخوارج، أجابه جابر ابن زيد أبرأ إلى الله منه. ويورد ابن حجر عن داود ابن أبي هند عن عزرة قوله : دخلت على جابر بن زيد فقلت إن هؤلاء القوم ينتحلونك يعني الإباضية قال أبرأ إلى الله من ذلك.[250] أضف إلى ذلك ما أورده ابن كثير عن حماد بن زيد قال حدثنا حجاج بن أبي عيينة قال سمعت هنداً بنت المهلب بن أبي صفرة , وكانت من أحسن النساء, وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا : "إنه كان إباضياً، فقالت : كان جابر بن زيد أشد الناس إنقطاعاً إليّ وإلى أمي، فما أعلم عنه شيئاً وكان لا يعلم شيئاً يقربني إلى الله عز وجل إلاّ أمرني به،

---

[246] - الحمد- عبد القادر بن شيبة- مصدر سابق- ص188-189.

[247] - جلي. احمد محمد- مصدر سابق ص77.

[248] - ابن كثير – البداية والنهاية – جـ9- ص 102.

[249] - الذهبي – أبو عبدالله – الإباضية – من شبكة صيد الفوائد – ص 4.www.saaid.net

[250] - المصدر نفسه ص 4. نقلاً عن تهذيب التهذيب ، وتخارج يحيى بن معين.

ولا شيئاً يباعدني عن الله إلاّ نهاني عنه، وما دعاني إلى الإباضية قط ولا أمرني بها".[251] هذه الروايات وكون المذهب ينسب إلى عبدالله بن إباض ولا ينتسب إلى جابر بن زيد مع مكانته العلمية كل ذلك يجعل نسبت هذا المذهب إلى جابر بن زيد أمر فيه شك وريبة. ويقول الدكتور ناصر العقل: "وليس هناك دليل قاطع على أنه , يعني بن إباض , قال بكل أصول الإباضية, فربما يكون انتسابهم إليه كانتسابهم إلى جابر بن زيد حيث جعلوه إماما لهم في أصولهم وهو من أكثرها برئ, وإنما جاء ذكر جابر بن زيد هذا عند الإباضية من رجوع ابن إباض إليه , وتعويله عليه في بعض الآراء والفتاوى . فحلا لهم أن يتشبثوا به ليكون في إمامته وفضله وشهرته مرتكزا وموثقا لهم ولكن نقل عن جابر بن زيد أنه تبرأ من الإباضية أكثر من مرة[252].

والإباضية يعتمدون مسند الربيع بن حبيب ، ويعدونه من أقدم كتب الحديث وأصحها. لكن مؤلف هذا الكتاب مجهول لم يترجم له في كتب التراجم والتاريخ والسير. وقال الشيخ الألباني : فرواه ربيعهم في (مسنده) المجهول .[253] ولذلك قال الأستاذ أبو عبدالله الذهبي : (و لم اعثر له ترجمة إلاّ في كتاب الأعلام للزركلي"[254]. وأحاديث المسند أكثرها مقطوعة السند وهي بلاغات ينسبونها لجابر بن زيد. وتلميذه أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة والربيع المجهولة نفسه [255]، كل ذلك يحط قيمة هذا الكتاب بل ويبين أن هذه الفرقة من أهل البدعة وليس كما يدعيه معاصروا الإباضية إنهم ليسوا من الخوارج وأنهم فرقة معتدلة .

حركة ونشاطات الإباضية :

تأسست هذه الحركة في البصرة حيث كان يقيمها مؤسسها عبدالله بن إباض وكان ينشر دعوته فيها ثم انتشرت في الجزيرة العربية وشمال أفريقيا – وقد استطاع الإباضيون أن يكونوا دولة في عمان أيام أبي جعفر المنصور – وقد أرسل المنصور جيشاً لقتالهم ، ثم قاتلهم هارون الرشيد لكنهم هزموا جيش الخلافة ثم استقلوا بها، وامتد نفوذهم إلى زنجبار وسواحل شرق أفريقيا ومازالت الأفكار الإباضية سائدة في عمان، أما المغرب العربي فقد قامت فيها دويلات إباضية في ليبيا والجزائر، واستمروا في ليبيا لمدة ثلاثة

---

[251] - ابن كثير – جـ9 – ص 104.

[252] - العقل – ناصر بن عبد الكريم- دراسات في الأهواء والفرق والبدع-جـ2-ص52.

[253] - الألباني –محمد ناصر الدين – صفة صلاة النبي – مكتبة المعارف - الرياض – ط1- 1991- ص 188.

[254] - الذهبي أبو عبدالله – ص www.saaid.net.6

[255] - الذهبي – أبو عبدالله ص www.saaid.net.6

أعوام فقط من عام 140-144 وفي جبل نفسوسة في منطقة تاهرت. اكتسبت الإباضية ثقة البربر وتمكن عبدالرحمن بن رستم أحد حملة العلم الذين تخرجوا على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، تمكن من إقامة دولة بني رستم والتي استمرت قرابة المائة والخمسين عاماً, (من عام 162 – 297).

وكانت عاصمتها تاهرت مركزاً مهما للدراسات الإسلامية وفقاً للمذهب الإباضي واستمرت (دولة بني رستم) حتى سقطت على يد الدولة العبيدية الشيعية [256]. وقد بلغ نفوذ الإباضية في ذلك الوقت إلى الأندلس لا سيما في جزيرتي مورقة ومينورقة ومازالوا هناك حتى سقوط الأندلس بأيد النصارى ولا تزال جماعات وطوائف من الإباضية تنتشر في واحات الصحراء الغربية في وادي ميزاب غرب الجزائر العاصمة على بعد 400كم. وهم متمسكون بتقاليد وتعاليم المذهب الأباضي، ولهم نظام صارم وتقاليد متشددة للحفاظ على مجتمعهم لئلا يذوب بالمجتمعات والأفكار السائدة [257].

مبادئ وعقائد هذه الفرقة :

تعتبر الإباضية أقل فرق الخوارج تطرفاً وتشدداً ومع ذلك فهم من الخوارج ومما يدل ذلك أنهم أنكروا التحكيم، وقالوا إن الإمامة لا تختص بقريش ويتولون المحكمة الأولى ويعتبرون أنفسهم امتداداً للمعارضة التي أطاحت بالخليفة الراشدة عثمان بن عفان رضي الله عنه وتسببت في مقتله واعترفوا بخلافة علي رضي الله عنه، واعتبروا من قاتل من الصحابة ضد علي بغاة ، وانكروا على علي قبوله التحكيم وقتله لأهل النهروان, فالمحكمة في رأي الإباضية هم الجماعة الوحيدة التي ناضلت من أجل إعادة الخلافة الراشدة [258]. وفي الرسالة التي أرسلها ابن إباض إلى عبدالملك بن مروان بيان واضح لمدح وانتماء ابن إباض إلى هذه الفئة (المحكمة) كل ذلك يؤكد أن الإباضية فرقة من الخوارج. ترى ما كانت ترى الفئة الأولى من الخوارج التي خرجت أيام علي، وأنكروا التحكيم وكفّروا عثمان وعلياً، واستباحوا دماء المسلمين واعتبروا دار مخالفيهم دار كفر , وخاضوا فتنة عظيمة كان لها آثار سيئة على الأمة ، لكن الإباضية يظهر فيهم أنهم أقل تطرفاً من الفرقة الأولى، والفرق الاخرى التي جاءت فيما بعد. فهم يرون أن مخالفيهم من أهل القبلة

[256] - جلي أحمد محمد – ص 90 – وكذلك الذهبي أبو عبدالله ص – 2.
[257] - جلي – أحمد محمد – ص 91.
[258] - جلي – أحمد محمد – ص 86.

كفار غير مشركين مناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وأجازوا شهادتهم، وحرموا دماءهم في السر، واستحلّوها في العلانية بعد نصب القتال وإقامة الحجة، وزعموا أنهم في ذلك محاربون لله ولرسوله، ولا يدينون دين الحق، واستحلوا بعض أموالهم كالخيل والسلاح أما ما عدا ذلك فحرام ويعاد إلى أصحابها[259]. ويرون أن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي، لكن المعاصرين الإباضيين يفصلون رأيهم في دار مخالفيهم،[260] حيث يقسمونها إلى أربعة أقسام :

1- الدار دار إسلام ومعسكر السلطان معسكر إسلام وذلك عندما يكون الوطن مسلماً والأمة مسلمة تعمل بكتاب الله .

2- الدار دار إسلام ومعسكر السلطان معسكر بغي وظلم وذلك عندما يكون الوطن مسلماً والحاكم مسلماً لكنه لا ينتهج المنهج الإسلامي في الحكم.

3- الدار دار إسلام ومعسكر السلطان معسكر كفر وشرك وذلك عندما يكون الوطن مسلما تحكمه دولة كافرة استعمارية.

4- الدار دار كفر ومعسكر السلطان معسكر كفر وذلك عندما يكون الوطن للمشركين وتحكمه دولة كافرة.

ويرى الإباضية أن مرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون . واختلفوا في النفاق أيسمى مشركاً أم لا .[261]

ويظهر أن التطور دخل في عقائد الإباضية بتطور الزمن، وتطور عقائد الفرق الإسلامية ودخول علم الكلام في عقائد الأمة الإسلامية، وتأثر الفرق بعضها على بعض إذ تأثر كثير من الفرق الإسلامية بالمعتزلة وما استحدثوه من علم الكلام ويظهر أن الإباضية قد تأثرت بعلم الكلام. ويقول الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي: " والإباضية هي الفرقة الوحيدة من الخوارج التي استمرت إلى عصرنا, لهذا تأثرت بما حدث من فرق وبدع بعد القرن الأول وخاصة المعتزلة"[262]. وهذه بعض معتقدات الإباضية.

1- مسألة الصفات : ذهبت الإباضية كما ذهبت المعتزلة إلى أن صفات الله تعالى هي ذاته ولا تدل على معان زائدة على الذات. يقول أحد أئمة الإباضية : "والأصل الذي ذهب إليه أصحابنا في هذا إن صفاته تعالى عين ذاته الأزلية، ولا ينكشف هذا إلا بتجريد الذات المقدسة عن الصفات

---

[259] - البغدادي – ص 70 – الشهرستاني – ط1- ص 156.

[260] - جلي – أحمد محمد – ص 88.

[261] - الشهرستاني –جـ1 -ص 157.

[262] - الحوالي- سفر بن عبد الرخمن _ أصول الفرق والأديان والمذاهب المعاصرة. من موقع www.saaid.net_ ص31.

الكلية" وبهذا يوافقون المعتزلة والشيعة الإمامية ويخالفون أهل السنة. ويقولون بأن إثبات الحياة والعلم والقدرة والسمع والإرادة وغيره لا تدل على شيء زائد في الذات لئلا يلزم الحلول في ذاته ولا زائد عن ذاته لئلا يلزم البعض في ذاته. وهكذا ترى أنهم تأثروا بالمتعزلة الذين قالوا بأن إثبات الصفات يستلزم إثبات قدماء مع الله. وتجنباً من ذلك نفوا الصفات وقالوا بعدم التميز بينه وبين الله تعالى. من أجل أن ينزهوا الله سبحانه وتعالى, نفى الإباضية جميع الصفات التي توهم التشبيه كالوجه والعين واليد والدنو والتجلي والنزول، وأولوا جميع الأحاديث والآيات التي تثبت هذه الصفات بحجة أن ظاهر هذه الصفات يوجب التشبيه والتجسيم[263].

2- أما عقيدة الإباضية في استواء الله وعلوه : فقد انكروا فهم السلف الصالح الذي يثبت استواء الله على عرشه استواء حقيقياً يليق بجلاله، ويزعمون أنه يستحيل على الله أن يكون مختصاً بجهة ما بل في حد زعمهم هو في كل مكان وهذا قول بالحلول وفسروا قول الله سبحانه وتعالى : {الرحمن على العرش استوى } [طه آية 5] بأن المراد بالاستواء استواء أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه وبريته .[264]

3- رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة : الإباضية ينفون رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة والمكان والله سبحانه منزه عن هذا. واستدلوا قوله تعالى: {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار} [الأنعام 103] في عدم رؤية الله تعالى. وأولوا معاني الآيات التي تدل على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة وفسروها تفسيراً اعتزالياً فمثلاً قوله تعالى : (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة) [القيامة22-23] فسروا بمعنى الانتظار وأن الناس في الآخرة منتظرة متى يإذن الله لهم دخول الجنة ، أو منتظرة ثواب ربها فهم بهذا يوافقون المعتزلة وأهل الكلام .[265]

4- عقيدة الأباضية في القرآن : أما بالنسبة للقرآن الكريم فقد انقسمت الإباضية إلى قسمين قسم ذهب إلى القول بقدمه ونفوا القول بخلقه ومن هؤلاء البسوى الذي قدم العديد من الحجج والبراهين التي ترد على من قال بخلق القرآن وأبو النصر العماني، وجل إباضية المشرق. وفئة ذهبت إلى أن القرآن مخلوق، وحكم بعض علمائهم كابن جميع والورجلاني أن من لم

---

[263] - جلي – أحمد محمد – ص 92 – وأبو عبدالله الذهبي ص 11.
[264] - عواجي – غالب بن علي – ط1- ص 131 – وجلي – أحمد محمد – ص 93.
[265] - جلي أحمد محمد ص 94.

يقل بخلق القرآن فليس منهم، وهكذا جل إباضية المغرب وهم يوافقون بهذا القول المعتزلة.[266]

5- أما بالنسبة لمسألة القدر فقد تبنى الإباضية آراء الأشاعرة ، حيث أثبتوا أن العالم باسره، جواهره وأعراضه وما فيه من خير وشر وطاعة ومعصية خلقه الله ودبره وأنه مقدر كل ذلك وصانعه, ولا شيء من ذلك بخارج عن قدرته وإرادته وعلمه وتقديره سواء في ذلك ما يضاف إلى العباد وما لا يضاف إليهم وأن أفعال الإنسان مضافة إليه عن طريق الكسب، وأثبتوا للإنسان استطاعة على الفعل، وقالوا كما قال الأشاعرة بأن هذه الاستطاعة تحدث مع الفعل لا قبله وأنها موجهة للفعل بعينه، ومن ثم قالوا إن الله خالق لأفعال الإنسان والإنسان مكتسب لها، وبسبب هذا الاكتساب تقع مسئولية الإنسان عن أفعاله.[267]

6- الإيمان : يقول الإباضية في حقيقة الإيمان بأنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان وبهذا يوافقون أهل السنة ، ولكنهم في زيادة الإيمان ونقصانه فريقان فريق يقول : إن الإيمان يزيد وينقص ، وهم بهذا يوافقون أهل السنة في الجملة لكنهم عند التفصيل قد يخالفون أهل السنة في بعض المسائل مثل مسألة درجات الإيمان. وفريق منهم فيقول : إن الإيمان العلمي فقط هو الذي يزيد أما الاعتقادي فإنه لا يزيد ولا ينقص بل إذا انهدم بعضه انهدم كله. وهناك أحاديث في مسندهم تدل على أن مرتكب الكبيرة كافر، ويذهب الإباضية إلى أن الفاسق يخلد في النار.[268]

7- الشفاعة : أما الشفاعة فالإباضية يثبتونها للمتقين ، ولمن مات على صغيرة أو مات وقد ارتكب ذنباً نسي أن يتوب منه أو لزيادة درجة في الجنة والثواب، أو لتخفيف شدة الموقف على المؤمنين وأراحتهم منه إلى الجنة، ولا تكون الشفاعة لمن مات مصراً على الكبيرة غير تائب منها. وكأن التقي في نظرهم أحوج إلى الشفاعة من المؤمن العاصي. قال السالمي:

وما الشفاعة إلا للتقي كما .. قد قال رب العلا فيها وقد فصلا

وقد استشهدوا بعض الأحاديث التي وردت في مسندهم ـ مسند الربيع.[269]

ومعنى ذلك أن الشفاعة لا تنال أصحاب الكبائر في أمة محمد صلى الله عليه وسلم, بل هم حسب رأيهم مخلدون أبدا في النار[270].

---

[266] - انظر – عواجي – غالب بن علي – ط1 – ص 135 – وجلي أحمد محمد ص 96 – وأبو عيد الذهبي ص 11.

[267] - جلي – أحمد محمد ص 95 .

[268]- انظر – عواجي –غالب بن علي –جـ1 – ص 134 – وجلي أحمد محمد 96 – وأبو عيد الذهبي ص11 .

[269] - انظر – عواجي –غالب بن علي –جـ1 – ص 135 – وجلي أحمد محمد 96 – وأبو عيد الذهبي ص11 .

[270] - العقل – ناصر عبدالكريم- دراسات في الأهواء والفرق والبدع- جـ2-ص77.

8- الميزان : الإباضية تنكر الميزان بالوصف الذي جاءت به النصوص بأن له كفتين توزن به الأعمال . وإنما يثبتون بأن الله يوزن الأعمال والنيات بمعنى تمييزه بين الحسن منها والسيئ لأن أعمال العباد أعراض وليست أجسام ويؤلون الآيات التي توضح ميزان الأعمال [271].

9- الصراط : والإباضية تنكر الصراط بأنه جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون كما جاءت به النصوص، وإنما يقولون هو الطريق الواضح والدين المستقيم، ولكن هناك قلة منهم يرجحون اعتقاد أن الصراط جسر ممدود يقف عليه الخلق.[272] ويؤمن الإباضية بأن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان كما يثبت الإباضية الحوض .

كما يؤمن الإباضيون بالأنبياء والرسل والكتاب على ضوء ما في كتاب الله، لكنهم في موضوع الكتب قد تأثروا بعض الشيء عند التفصيل بمؤثرات أهل الكتاب. كما يؤمنون بالملائكة وبأنهم مخلوقون ولهم وظائف [273].

10- الإمامة : والإباضية يرون أن نصب الإمام واجب وأن ترك ذلك يؤدي إلى إماتة الدين، ولكنهم لا يرون قرشية الإمام، لأن ذلك يخالف المعقول ولم يجعل الله النبوة في قوم خاص، فكيف يجعل الإمامة كذلك، والقرآن لا يدل على ذلك بل يدل إن أكرمكم عند الله أتقاكم. وهناك أحاديث وردت في مسند الربيع تشير إلى أن الولاية في قريش.[274] ومع ذلك يذهبون بهذا المذهب، وهذا يدل على اتباع الهوى وعدم التقيد بما جاء في كتبهم من الأحاديث، ويشترطون للإمام أن تتوفر فيه الديانة ، والدراية والغيرة والهمة والشجاعة [275].

11- مسألة مرتكب الكبيرة : تقول الإباضية بأن مرتكب الكبيرة كافر, ويفسرون بأن معناها كفر نعمة وأنه مثل كفر النفاق, وهذا في الدنيا, أما في الآخرة فيرون أن مرتكبي الكبيرة وعصاة الموحدين إذا ماتوا على ذلك فهم في النار خالدين فيها أبدا[276].

12- مسألة الصحابة : مذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة أن حبهم إيمان ودين وبغضهم كفر ونفاق وشقاق. والإباضية تخالف ذلك فتطعن في عدد من أجلاء الصحابة كعثمان وعلي وطلحة والزبير وعمرو بن العاص

---

[271] - عواجي غالب – جـ1 ص 134 – طعيمة – صابر – الإباضية – ص 126

[272] - طعيمة – صابر – ص 126.

[273] - نفس المصدر ص 127.

[274] - جلي – أحمد محمد – ص 97.

[275] - طعيمة – صابر – ص 136 – وجلي – أحمد محمد – ص 97.

[276] - ينظر ابتداء من هذه النقطة فما بعدها. العقل_ دراسات في الأهواء والفرق والبدع - جـ 2- ص 75- 85.

ومعاوية وأصحاب الجمل, ولا يترضون عن جميع الصحابة, ويقولون عنهم إلا من أحدث.

13- مسألة الأئمة والخروج عليهم : مذهب أهل السنة عدم الخروج على الأئمة وطاعتهم وأنه لايجوز قتالهم إلا أن ترى الأمة كفرا بواحا عليه من الله برهان. أما الإباضية فخالفوا أهل السنة, فخرجوا على الأئمة كم يؤيدون خروج أسلافهم الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

14- الإباضية ترى التقية عند الحاجة. وبهذا توافق الرافضة بالقول بالتقية مع الفارق في التفاصيل بينهما.

15- أهل السنة يقولون بحجية أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد, أما الإباضية فيرون أنه لايحتج أحاديث الآحاد في العقائد موافقة للمتكلمين[277].

16- مسألة اصح الكتب ـ أصح الكتب بعد كتاب الله هوصحيح البخارى عند أهل السنة, لكن طوائف من الإباضية ترى أن أصح كتاب بعد القرآن هو مسند الربيع.

[277] ـ نفس المصدر –ص83.

أسباب اختلاف الخوارج فيما بينهم

اختلف الخوارج فيما بينهم وتفرقوا كما بينا سابقاً إلى فرق متعددة وكانت الفرقة الواحدة تفترق إلى عدة فرق، ولم يكن اختلافهم اختلاف سلامة ورفق وإنما كان هذا الاختلاف اختلاف عنف وعدوان يؤدي إلى إراقة الدماء فيا بينهم في بعض الأحيان. ومن نظر أسباب اختلافهم لا يجد مبرراً لهذا الإختلاف والافتراق، لأن هذا الخلاف لم يكن في أمور خطيرة لا يمكن تحملها، وإنما كانت نزاعاتهم في كثير من الأحيان حول أمور فرعية بسيطة ويمكن أن نجمل أسباب هذا الاختلاف في النقاط التالية [278]:

1- الجهل بالشريعة الإسلامية : وهذه النقطة هي أهم النقاط وأساسها، والجهل أم كل داء . ولا شك أن معظم الخوارج كانوا جاهلين عن قواعد الإسلام فأكثرهم كانوا من الشباب المتحمس الذين لم يفقهوا الدين وإنما قرأوا القرآن ولم يجاوز حناجرهم. كما أن كثيراً من اتباعهم من البدو الذين لم يستنيروا جيداً بنور الإيمان وإنما كانوا يقتفون بآثار قادتهم ويأتمرون بأوامرهم ويأخذون آرائهم.

2- العجب النفسي والاعتماد على آرائهم . فكان كل واحد من قادتهم يعجبه رأيه ولم يكن لأراء غيره محل في اتخاذ القرار، ولم يكن للمشورة محل.

3- المكابرة عن الحق، وعدم الرجوع إلى أهل العلم. فهم لا شك ما كانوا طالبين بالحق وإنما الحق ما يرونه، لأن طالب الحق لابد وأن يراجع الحق من مظانه ويصغي إلى رأي العلماء وأهل الخبرة . وذلك مما لم يكن محل في قاموس نظامهم وإنما كان همهم المشي قدماً ، مهما كلف ذلك.

4- التقليد الأعمى لقادتهم . وذلك أن اتباعهم كانوا مقلدين تقليداً جامداً لقادتهم، ولم يكونوا يسألون عن أنفسهم هل هذا حق أم غير حق.

5- حب الإمارة والظهور . وهذا واضح عن قادتهم الذين كان همهم الأكبر الظهور وأن يكون أميراً اللهم إلاّ المحكمة الأولى .

6- قلة الصبر وعدم التحمل. وهذا واضح من تاريخهم ونشاطاتهم فكلما وجد واحد منهم ما لا يعجبه كان يخالف صاحبه ، أو يخرج على أمير تلك المنطقة حتى وإن كلف ذلك بنفسه.

---

[278] - انظر- العقل – دراسات في الأهواء – جـ2- ص29. وعواجي- فرق معاصرة – جـ1-ص103.

7- النفسية المريضة الشاذة التي تحب الانتقام وسفك الدماء، وكان كثير من الخوارج يحبون سفك الدماء والإغارة على السالمين دون أن يميزوا من كان محارباً عليهم، والسالمين الذين ليس لهم حول ولا قوة. وكانوا يغيرون على المدن والقرى والأرياف وأهل البدو، كل ذلك من أجل الانتقام ومن أجل الحصول على المنفعة الدنيوية.

8- عدم التمييز بين المصلحة والمفدسة وما كان هؤلاء الخوارج يميزون بين مصلحتهم وما كان يجر إلى المفسدة، ومن المفاسد التي ما كانوا يرعون عنها الاختلافات الكثيرة ، وخوض الحروب ضد دولة أقوى منهم دون النظر إلى العواقب.

9- رحمة الله على المسلمين, فأن من رحمة الله بالناس أن الخوارج تفرقوا فيما بينهم, ولو اتحدوا لكانوا كارثة على المسلمين المخالفين لهم[279]

ملخص نتائج الباب الثاني:

وهذا تلخيص لأهم النتائج التى توصل إليها الباحث من خلال دراسة وتحليل هذا الباب وذلك وفق النظرية التحليلية لروبرت داهل[280] :

ـ لقد تعرضنا لفرقة الخوارج وحللنا أفكارهم ومبادئهم, وأسباب خروجهم وأسباب اختلافهم فيما بينهم, حسب النظرية التحليلية لداهل.

ـ كان مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه بداية لنشأة الفرق الإسلامية, حيث كان قتله ظلما وعدوانا.

ـ أول الفرق الإسلامية ظهورا الخوارج والشيعة. حيث كان ظهورهما بعد مقتل عثمان مباشرة.

ـ كانت هناك أيادي خفية وراء اشتعال الفتنة بين المسلمين أيام علي رضي الله عنه.

ـ من أسباب ظهور الفرق الإسلامية دخول الأمم الأعجمية ذات الحضارات القديمة في الإسلام. وكذلك ترجمة فلسفات وعلوم تلك الأمم دون تمحيص وتمييز.

ـ هناك أحاديث كثيرة بين فيها الرسول على خروج الخوارج وصفاتهم, وهي من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

[279] - انظر عواجي – فرق معاصرة-جـ1- 103.

[280] - روبرت داهل هو عالم أمريكي ولد عام 1915م , وهو متخصص وخبير في العلوم السياسية والإقتصادية, وله مؤلفات ومشاركات بهذا المجال.

ـ كانت الخوارج في بداية أمرهم فرقة واحدة ولكن بعد زمن كثرت فرقهم.

ـ من أهم فرق الخوارج المحكمة الأولى, الأزارقة, النجدات, الصفرية, الإباضية.

ـ هناك أصول عامة تجمع فرق الخوارج وإن كانت هناك اختلافات كثيرة فيما بين فرقهم.

ـ من أهم مبادى الخوارج تكفير المسلمين من غير مذهبهم.

ـ أكثر فرق الخوارج انقرضت ما عدا الإباضية, فهي ما زالت موجودة.

الباب الثالث

الخوارج في العصر الحديث

(جماعة التكفير والهجرة)

توطئة

من الملاحظ في تاريخ الفرق أن أصحاب المبادئ والفكر يموتون ولكن الفكرة والمبادئ كثيرا ما تعيش تحت الرماد فإذا وجدت شخصا يوقدها أو وجدت فرصة سانحة أظهرت رأسها وخرجت إلى عالم الظهور باسم آخر ولكن المضمون يكون واحدا وهذا ما حدث في هذا العصر حيث ظهرت عقائد وأفكار بعض الفرق الإسلامية التي كان يعتقد أنها اندرست. ظهرت تلك الأفكار بأسماء مختلفة عن الأسماء القديمة, ولكن المضمون والعقائد والأفكار والمبادئ واحدة, ومن تلك الأفكار التي ظهرت في العصر الحديث من جديد المعتزلة

حيث ظهرت باسم العقلانية وكذلك الخوارج حيث ظهرت في هذا العصر بأسماء أخر.
وفي هذا الباب سيكون النقاش حول المباحث التالية:
نشأة جماعة الهجرة والتكفير
عقيدة الجماعة ومبادئها
أسباب ظهورالتكفير
انتشار أفكار الجماعة في العالم الإسلامي
اسباب انتشار فكر التكفير في العالم الإسلامي
جماعة التكفيروالهجرة في الصومال
الحركات الإسلامية التي ظهرت في الساحة الصومالية
متى دخلت أفكار التكفير في الصومال

أسلوب دعوة جماعة التكفير في الصومال
مبادئ جماعة التكفير الصومالية
تعليق على أفكار مبادئ الجماعة
تحذير علماء الصومال عن هذه الجماعة وأفكارها
التحذير من تكفير المؤمن
أصول وضوابط في التكفير

شروط تكفير المعين

الفصل الأول

نشأة جماعة التكفير والهجرة

توطئة :

لقد ابتلي المسلمون في العصر الحديث على تغلب النصارى في بلادهم فدخل الأوروبيون بلاد المسلمين مستعمرين أراضيهم ومستذلين أهالي المسلمين. ولقد حاولت الشعوب الإسلامية محاربة الإستعمار وإخراجه من أراضيهم، ولما رأى الأوروبيون النصارى أنهم لا يمكن لهم أن يحكموا هذه الشعوب بالقوة والحديد, وأرادوا الرحيل، استخدموا ألاعيب استعمارية خبيثة. وذلك أنهم تركوا البلاد ولكنهم سلطوا على الشعوب الإسلامية تلاميذهم الوفية الذين دربوهم أحسن التدريب، فكان رؤساء الشعوب الإسلامية تلاميذ بارة لسادتهم الأوروبيين. فبدأ هؤلاء الرؤساء حكم البلاد بالحديد والنار وترك تقاليد وثقافة الشعوب الإسلامية واستبدلت بتقاليد وثقافة غربية أوروبية ، وأبعد الإسلام عن معترك الحياة، واستبدلت بقوانين وضعية . من هنا كان المصلحون والعلماء من المسلمين يرون لا بد من العودة إلى الإسلام والحكم بكتاب الله ونبذ كل ما يخالف الشريعة من التقاليد والعادات والثقافات والقوانين. ونادى المصلحون بهذه المطالب أمام الرؤساء وأرادوا إصلاح الشعوب التي أفسدتهم الثقافات الاستعمارية الأجنبية، من هنا بدأ الرؤساء الذين أقامهم الاستعمار رؤساء على هذه الشعوب، بدأوا حرباً على الدعاة والمصلحين فقتل المصلحون وسجن الدعاة وعذبوا وأهينوا .

ومن المصائب أن الشيوعية الحمراء كانت قد دخلت الأراضي الإسلامية، وقد أخذ الرأي الشيوعي كثير من أبناء المسلمين ، ظانين أن ذلك يؤدي إلى رفاهية الشعوب والتخلص من الاستعماري الأوروبي. فكانت الشيوعية أشد فتكاً للمسلمين وكانت وباءاً خطيراً لا يبقي ولا يذر، فكانت الإعدامات وإهلاك الدعاة أشد في البلاد التي أخذت الشيوعية. تلك كانت من الأسباب التي هيئت الأجواء لظهور مجموعات غالية من المسلمين.

وفي هذا الفصل سيكون الحديث حول المباحث الآتية:

- نشأة جماعة التكفير والهجرة.
- عقيدة الجماعة ومبادئها.
- أسباب ظهور التكفير.
- انتشار أفكار الجماعة في العالم الإسلامي.
- أسباب انتشار فكر التكفير في العالم الإسلامي.

نشأة جماعة التكفير والهجرة

هذه الجماعة نشأت في مصر وفي سجون جمال عبدالناصر في الستينات من القرن العشرين الميلادي[281] ، وكان الرئيس المصري جمال عبدالناصر شن حرباً شعواء ضد الاسلام والمسلمين ، فأعتقل أعداداً كبيرة جداً من الدعاة إلى الله على مختلف انتماءاتهم ومشاربهم، واعدم آخرين من قادتهم وأعلامهم. ونشر الفساد في كل مكان من وادي النيل وفرض حكماً عسكرياً

[281] - الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. دار الندوة. الرياض1430. ط3.ص332

إرهابياً لم تعرف لـه مصـر مثيلاً منذ أن منّ الله علـى أهلهـا بنعمـة الإسـلام اللهم إلاّ في عهد الدولة العبيدية المجوسية سميت خطأً بالفاطمية. لقد سلط عبدالناصـر جواسيسـه ومخاربراتـه علـى رقـاب المسلمين يقتلـون وينهبـون ويفجرون دون حسيب أو رقيب حتى صار الأخ يشك بأخيه والأب من إبنـه والزوج بزوجته. واتخذ من نفسه نداً لله فوضـع مـا اسماه دستوراً وسنّ مـا زعم أنه قانون واصدر ما شاء من القرارات والأنظمة والمراسيم.[282] وقد عانى المسلمون عامة والدعاة خاصة هذا الحرب الإجرامي وكان من الذين تعرضوا لتلك الدواهي شباب الجماعات الإسلامية الذين كانوا يمثلون خيرة الشباب في المجتمع المصري، إذ كان منهم شباب الجامعات، أو ممن تخرج في الجامعات وحملت الشهادات. وكانوا يتوقون إلى الخير لبلادهم وبدلاً من أن يجدوا يد العون والترحيب وتنمية طاقاتهم من الحوكومة وجدوا أنفسهم فـي غياهـب السـجون وتحـت التعـذيب والقهـر, والتنكيـل والاضـطهاد والإذلال[283]. ولم يكن لهؤلاء الشباب ذنب يؤخذ عليه سوى أن قالوا ربنـا الله وسوى أنهم يؤدون الصلاة في المساجد. وكان بعض الشباب سجن من أجل أنه كان في مسجد الجامع، حتى قال أحد المشائخ : "لو ضبطوك في بيت دعارة، أو في خمارة لا فرجوا عنك أما أن يضبطوك في جامع فالويل لك".[284] وكان قد أعدم مجموعة من الدعاة , منهم الأستاذ سيد قطب, أما الباقي فكانوا يعيشون تحت رحمة الجلادين يقاسون شتى أنواع التعذيب والإذلال. ويقول الصحفي علي محمود وكان قد زج به نظام عبدالناصر في (معتقل ليمان طره) وقد عاش مدة من الزمن داخل سجن ليمان طره مع شكري مصطفى , مؤسس الجماعة , سنة1968م. وقد شاهد بعينه الويلات والمصائب وقد سمع من شكري مصطفى كثيراً فكان مما سمعه من شكري ما يلي [285]: "كان المسلمون شباباً وكهولاً ، يرزحون تحت وطأة عذاب جهنمي فوق طاقة البشر، لا لذنب جنوه اللهم إلاّ أنهم كانوا ينتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين. وتحت وطأة السياط والكي بالنار والنفخ ونهش الكلاب والجوع والمهانة، مات من مات، وجن من جنّ، واستكان الباقون وفوضوا أمرهم إلى الله. كنا نمشي فوق قطع الزجاج فتدمي أقدامنا, وكنا نصلي لله بعيوننا ، فقد كبلت أيادينا وشلت أجسامنا وكانت حقبة قاسية في معتقل أبي زعبل والسجن الحربي والقناطرة والقلعة وقنا وغيرها". وتلك

---

[282] - زين العابدين – محمد سرور – الحكم بغير ما انزل الله وأهل الغلو – دار الأرقم – مصدر سابق ط1 ص 287- 1987م.

[283] - جلي – أحمد محمد- مصدر سابق ص 108. بتصرف

[284] - المصدر نفسه 302.

[285] - زين العابدين – محمد سرور – مصدر سابق ص 299.

الظروف القاسية الشديدة اللاإنسانية والتي تفنن بها المجرمون على مختلف أزمانهم كانت نشأة أفكار هذه الجماعة، ومن المعلوم أن العنف يؤلد عنفاً مضاداً وينتج أفكاراً ربما تكون غريبة وتكون ضد ما كان يخطط أن تكون النتيجة. ويظهر أن المجرمين من النصارى والشيوعيين كانوا يغذون الحكومات التي تحكم البلاد الإسلامية أساليب تعذيب الشعب والمسجونين عامة، فإن ما يفعله الأمريكان في جونتنامابي وفي سجن أبي غريب في العراق تشبه إن لم تفق ما كان يفعله جلادو عبدالناصر في الستينات. ويظهر أن العالم الغربي الرأسمالي والشيوعية الشرقية كانوا يباركون بل ويحضون عبدالناصر وأشباهه بهذه الأفعال الإجرامية[286]. وبهذه الظروف القاسية اللا إنسانية تبلورت إفكار جماعة التكفير والهجرة.

وفي عام 1967م طلب رجال الأمن من جميع الدعاة المعتقلين تأييد رئيس الدولة جمال عبدالناصر ، فانقسم المعتقلون إلى فئات: فئة سارعت إلى تأييد الرئيس ونظامه بغيه الإفراج عنهم والعودة إلى وظائفهم، وزعموا أنهم يتكلمون باسم جميع الدعاة. وهؤلاء كان منهم العملاء إذ ثبت أنهم كانوا خلية جواسيس زرعت داخل الحركة الإسلامية ، ومنهم نوع آخر ليسوا عملاء وإنما كانوا أهل سياسة التحقوا بالدعوة بغية الحصول على مغانم كبيرة فأصابتهم المحنة. أما جمهور الدعاة فقد لاذوا بالصمت فلم يعارضوا هذا التأييد ولم يؤيدوا ولم يردوا على الذين يكلمون بلسانهم لأنهم في حالة إكراه.

بينما رفضت فئة قليلة من الشباب موقف السلطة وأعلنت كفر رئيس الدولة ونظامه وأنه لا يختلف عن أبي لهب وأبي جهل في القديم ولاعن بن غوريون وليفي اشكول في الحديث. ولم يقفوا عند هذا الحد بل اعتبروا الذين أيدوا السلطة من إخوانهم مرتدين عن الإسلام ومن لم يكفّرهم فهو كافر بل وتجاوزا إلى المجتمع فاعتبروا المجتمع بأفراده كفاراً لأنهم يوالون الحكام وبالتالي لا ينفعهم صوم ولا صلاة.[287] وكان إمام هذه الفئة من الشباب شيخاً من خريجي الأزهر تأثر بأفكار وتصورات الخوارج، وهو الشيخ على اسماعيل, كان هذا الشيخ مهندس هذه الفكرة والذي صاغ مبادئ العزلة والتكفير لدى الجماعة ضمن أطر شرعية حتى تبدو وكأنها أمور شرعية لها أدلتها من الكتاب والسنة. ولكن الشيخ على عبده اسماعيل آب إلى رشده بعد ما تبين له خطأ هذه الفكرة وأعلن برائته من تلك الأفكار التي

---

[286] - جلي – أحمد محمد مصدر سابق. ص 109.

[287] - الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – دار الندوة الرياض /ط4 1420هـ ص 223—محمد سرور مصدر سابق ص 307.

كان ينادي بها حيث تبين له الحق فسلمه الله من ذلك المزلق الخطير . ولكن الأفكار إذا خرجت مهما كانت خاطئة تجد إذن صاغية له وقد كان الشيخ بث هذه الأفكار بين الشباب المضطهد . وكان شكري مصطفى (أبو سعد) أحد مواليد قرية الحوانكة بمحافظة أسيوط عام 1942م أحد شباب جماعة الإخوان المسلمين، الذين اعتقلوا عام 1965م لانتسابهم لجماعة الإخوان المسلمين. كان هذا الشاب من الذين تلقوا أفكار التكفير من الشيخ على اسماعيل ولما تبرأ الشيخ من هذه الأفكار اتهمه شكري مصطفى شيخه بالكفر، وتولى بعده إمامة هذه الجماعة التي اسماها جماعة المسلمين واسمتها السلطة (جماعة الهجرة والتكفير).[288] نظراً لمبادئهم التي من ضمنها تكفير المجتمع والهجرة عنه وتولى شكري مصطفى قيادة الجماعة داخل السجن ولا شك أن هذه الأفكار كانت محدودة بفئة معينة من الشباب الذين كانوا في السجن ممن اعتنق بهذه الفكرة. ثم أفرج عن شكري مصطفى عام 1971م بعد أن لبث في السجن ست سنين وذلك بعد هلاك عبدالناصر بسنة حيث بدأ السادات عهده بالإفراج عن المعتقلين السياسيين وأعاد معظمهم إلى وظائفهم وقدم تعويضات مادية للمتضررين منهم [289].
وبعد الإفراج والحصول على بكالوريوس الزراعة بدأ شكري مصطفى التحرك في تكوين الهيكل التنظيمي لجماعته، وتمت مبايعته أميراً للمؤمنين وقائداً لجماعة المسلمين، فعين أمراء المحافظات والمناطق واستأجر العديد من الشقق كمقار سرية للجماعة بالقاهرة والاسكندرية والجيزة وبعض محافظات الوجه القبلي [290]. وكان قائد هذه الجماعة ، يعتبر نفسه أنه مصلح عظيم بل وادعى أنه المهدي المنتظر وأن جماعته هي الجماعة المسلمة.
وفي سبتمبر عام 1973م أمر بخروج أعضاء الجماعة إلى المناطق الجبلية واللجوء إلى المغارات الواقعة بدائرة إبي قرقاص بمحافظة المنيا بعد أن تصرفوا بالبيع في ممتلكاتهم وزودوا أنفسهم بالمؤن اللازمة والسلاح الأبيض تطبيقاً لمفاهيمهم الفكرية حول الهجرة. وفي 26 اكتوبر 1973م اشتبه في أمرهم رجال الأمن المصري فتم إلقاء القبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة في قضية 618 أمن دولة لسنة 1973م وصدر قرار جمهوري بالعفو عن شكري مصطفى وجماعته في 21 إبريل عام 1974م. وثم عاود نشاطه مرة أخرى وبصورة مكثفة أكثر من ذي قبل إذ عمل على توسيع قاعدة الجماعة وأعاده تنظيم صفوفها . وقد تمكن من ضم أعضاء جدد للجماعة من شتى محافظات مصر كما قام بتسفير مجموعات أخرى إلى

---

[288] - محمد سرور – ا لحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو – ص 307 – 308 .
[289] - المصدر نفسه ص 288.
[290] - الندوة العالمية للشباب الإسلامي – ص 334.

خارج البلاد بغرض التمويل مما أمكن لانتشار أفكارهم في أكثر من دولة [291].

وكان قائد هذه الجماعة , شكري مصطفى , قد تميز بالعصبية وحدة المزاج والميل إلى التشدد والغلو في جميع أمور حياته، مع شدة الاعتزاز والثقة بالنفس إلى درجة الغرور.[292] وكانت الأوامر والتعليمات التي يصدرها لاتباعه متأثرة بهذه المزاجية فقد يمنع اليوم ما كان يبيحه بالأمس، وكان استبدادياً في أوامره ، وكان يستدعى الشباب بأوامر عسكرية صارمة وويل لمن تردد أو رفض تنفيذ هذه الأوامر، ومن الأمثلة على أوامره المتقبلة المزاجية ما يلي:[293]

كان شكري لا يجيز الصلاة في المساجد لأنها مساجد ضرار تستخدمها السلطة في حرمها ضد الإسلام. وكان أمر جماعته بإقامة صلاة الجمعة في شققهم، وبعد حين من الزمن أصدر أوامره بعدم إقامة صلاة الجمعة والاكتفاء بصلاة الظهر بدلاً عنها، كما أصدر أوامره بحلقي اللحي لأن طبيعة مصلحة الجماعة تقضي ذلك.

كما أمر اتباعه عدم التلاقي فيما بينهم إلاّ بإذن مسبق من الأمير وذلك لكي يمنع انتشار حركة الانشقاق من الجماعة، وثم بموجب هذا الأمر عزل الأفراد عن أخوانهم في الجماعة بعد أن عزلوا عن الأهل والأقرباء وسائر أفراد المجتمع.

وهذا التخطيط في الأوامر والتعليمات من طبيعة أهل البدع ومن انحرف عن الصراط المستقيم. ومن الطبيعي أن يكون هناك انشقاق في الجماعة إذا وصل الاستبداد إلى هذه الحد ولكن أي فرد يظهر الاعتراض أو الانشقاق كان يتعرض بالسوء قد يؤدي إلى القتل. وكان شكري مصطفى قد شغل أتباعه بالدعوة والعمل والصلوات والدراسة، وبذلك عزلهم عن المجتمع إذ أصبح العضو يعتمد على الجماعة في كل احتياجاته. ومن ينحرف من الأعضاء يتعرض لعقاب بدني وإذا ترك العضو الجماعة اعتبر كافراً ومن ثم يتم تعقبه وتصفيته جسدياً[294]. ومن المعروف أن أهل البدعة يطيعون قادتهم طاعة عمياء دون مناقشة وتبادل الآراء كذلك كان اتباع هذا والجماعة يطيعون قائدهم شكري مصطفى طاعة عمياء ، وذلك أنهم يعتبرونه المهدي المنتظر ولأنه أخذ عليهم بيعة عند انتسابهم لهذه الجماعة. ومن قرأ قصص أئمة الصوفية ومريديهم , وقصص الشيعة مع أئمتهم يجد

---

[291] - الندوة العالمية للشباب الإسلامي – مصدر سابق ص 334.

[292] - جلي – أحمد محمد – دراسة عن الفرق .ص111

[293] - انظر – محمد سرور – الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو – ص 314.

[294] - الندوة العالمية للشباب الإسلامي – مصدر سابق ص 335.

تشابهاً لهذه الطاعة العمياء وكأن الأئمة والمشايخ أنبياء يوصي إليهم. إنها البدعة والبعد عن الشريعة السمحة وعدم الاستنارة بنور العلم والإيمان الحق.
ويظهر أن السلطات المصرية كانت تتغاضى عن نشاطات هذه الجماعة وممارساتهم لأمر ما فلما طفح الكيل , وذلك بعد اختطاف الجماعة الدكتور محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف المصري السابق، واغتيالهم له جابهتهم بقوة وشدة فقبض رجال الأمن على المئات من أفراد الجماعة وقدموا للمحاكمة وذلك في سنة 1977م وصدرت أحكام المحكمة العسكرية فحكمت بأعدام شكري مصطفى وأعوانه من قيادات الجماعة، ونفذ الحكم فعلاً. كما صدرت الأحكام بالأشغال الشاقة على عدد كبير من أفراد الجماعة ، وبعد الضربات القاسية تخلى بعض أفراد الجماعة عن الجماعة وأفكارها , كما تمكن بعضهم من الهروب من مصر, والاستقرار في بعض البلاد العربية، كما اتخذت الجماعة طابع السرية في العمل, الأمر الذي حافظت به الجماعة على وجودها حتى الآن.[295] وقد تقلص نشاط الجماعة في مصر وأخمدت جمرتها ، ولكن فكرة التكفير تظهر بصور ربما مخالفة لتلك الصور. والجماعة لم يفن وجودها ولها وجود قوي في بعض البلاد, وخاصة في الصومال كما سوف نرى.

[295] - انظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص 235 – ومحمد سرور – الحكم بغير ما أنزل الله – ص 11-.

عقيدة الجماعة ومبادئها :

كونت هذه الجماعة مبادئ معينة وأصول وقواعد تمسكت بها، وقد بينوا أفكارهم ومبادئهم في كتيبات ورسائل نشروها ويمكن أن توجز مبادئ الجماعة بما يلي [296].

1- الحد الأدنى من الإسلام: ويريدون بذلك أن الإسلام يتمثل في جملة من الفرائض التي ينبغي أداؤها فمن لم يؤدها أو قصر فيها أو ترك بعضاً منها فلا يعتبر مسلماً بل هو كافر .

2- قاعدة التبين: وذلك أنهم يرون أن المجتمع لا يحكم عليه بالإسلام حتى يتضح أن أفراده استوفوا فرائض الإسلام وأدوها، لأن من قصر عن شيء من الفرائض ولم يؤدها لا يعتبر مسلماً. وحيث أن أفراد هذه الجماعة قد استوفت الحد الأدنى للإسلام ، ولكن من كان خارج الجماعة لا يضمن أنه استوفي الحد الأدنى للإسلام. وحيث لا توجد الهيئة التي توفي منهم ذلك، فلا نستطيع أن نحكم لهم بالإسلام كما أننا لم نتبين منهم كفراً بواحاً، فالحكم الشرعي فيمن هو خارج الجماعة هو التوقف فيهم حتى تبينهم ، والبينة هي لزوم الجماعة ومبايعة إمامها .

3- قاعدة تعارض الفرائض : وتنص هذه القاعدة على أن للمسلمين هدفاً وهو إقامة الخلافة الإسلامية. ففي سبيل تحقيق هذا الهدف قد تقتضي الضرورة التخلي عن جزء من الحق إذا تعارض مع الهدف الأكبر للجماعة المسلمة خاصة في مرحلة الاستضعاف ، فلا بد من إجراء المفاضلة بين الفرائض على أساس تقديم الأهم أو ما يحقق مصلحة الجماعة أو يدفع عنهم. وبناء على ذلك حلقوا اللحي وتركوا الجمعة والجماعات في المساجد. ولماذا يتحدثون عن ترك الجمعة والصلاة في

---

[296] - ينظر في هذا المبحث – جلي أحمد محمد – دراسة عن الفرق – 112- ومحمد سرور الحكم بغير ما أنزل الله – والندوة العالمية للشباب الإسلامي – ص 335 – 337 .

المساجد إذا كانوا يرون أن المجتمع بأكمله ما عدا إفراد جماعتهم كفاراً، وإذا كانوا يعتبرون المساجد، مساجد ضرار،

4- تكفير مرتكبي الكبائر . أن التكفير عنصر أساس في أفكارهم فهم يذهبون أن كل من ارتكب كبيرة وأصر عليها كافر ويكفرون الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق دون تفصيل، كما يكفرون الشعوب المسلمة لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم، كما يكفرون العلماء لأنهم لم يكفروا هؤلاء ولا هؤلاء. ويكفرون من يخرج عن جماعتهم ممن كان منهم, أو من يخالف بعض أصولهم. كما يحكمون تكفير من لم يهاجر إليهم ومن لم يهجر عن المجتمع ومؤسساته[297].

5- زعمهم أنهم جماعة أخر الزمان وأن زعيمهم هو المهدي المنتظر. زعموا ذلك وقالوا إن الرسالات الإلهية لا تأتي إلا بعد فساد الأرض، وكذلك جماعة الحق لا تظهر إلا بعد أن يعم الفساد كما هو حاصل الآن. وبناء على ذلك فجماعتهم جماعة آخر الزمان، وأميرهم هو مهدي هذه الأمة المنتظر، وأن الله سيحقق على يد هذه الجماعة ما لم يتحقق على يد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإن دور الجماعة يبدأ بعد أن تدمر الأرض بمن عليها بحرب كونية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين الاتحاد السوفيتي، تنقرض بسببها الأسلحة الحديثة، ويعود القتال كما كان في السابق رجلاً لرجل بالسلاح القديم من سيوف ورماح وحراب. ويكفي هذا الأمر أن الواقع قد كذبه، ولكن يبقى السؤال هل بقايا هذه الجماعة مازالت تؤمن بمثل هذه المزاعم والهذيان الخيالي ؟. كما زعموا أن جماعتهم جماعة متميزة لا تربطها رابطة بتاريخ المسلمين العام والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر، وجاهلية لتقديمها لصنم التقليد, المعبود من دون الله وعلى المسلم أن يعرف الأحكام بأدلتها ولا يجوز لديهم التقليد في أي أمر من أمور الدين. كما ادعى زعماء الجماعة أنهم قد بلغوا درجة الإمامة والاجتهاد المطلق وأن لهم أن يخالفوا الأمة كلها وما أجمعت عليه سلفاً وخلفاً.

6- دعوتهم إلى الأمية ومحاربة التعليم.. ودعت هذه الجماعة أتباعها إلى الأمية وعدم التعليم زاعمين أنهم بذلك يشتبهون بذلك الجيل الأول الذي حمل الدعوة. وقالوا إنه لا يمكن الجمع بين العلوم الشرعية والعلوم المادية. فدعوا إلى ترك الكليات ومنع الانتساب للجامعات والمعاهد إسلامية كانت أو غير إسلامية لأنها مؤسسات الطاغوت. وقالوا إن الدعوة لمحو الأمية دعوة يهودية لشغل الناس بعلوم الكفر عن تعلم الإسلام، ويقولون في إحدى

[297] - العقل _ دراسات في الأهواء والفرق والبدع. جـ2_107.

رسائلهم : "فلم تتعلم , أي الجماعة الأولى, الدين للدنيا ولم يكونوا يتعلمون لعمارة الأرض وبناء الدور فتلك صفة الكافرين (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجهل أثر تأبير النخل.. ويقول: نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، فلابد أن نكون مثلهم أميين نوجه كل جهدنا ووقتنا لنتعلم الكتاب والحكمة. وما دون ذلك فهو ضلال مبين. ومتى يتعلم الإسلام من أمضى أكثر من نصف عمره في تعلم الجاهلية، ومن أجل هذا نقول : إن الدعوة إلى محو الأمية فكرة يهودية لشغل الناس بعلوم الكفر عن تعلم الإسلام ووجود من يقرأ ويكتب بيننا لا يعني أننا نحن أمة أمية طالما نوجه كل وقتنا لتعلم الإسلام".[298] والسؤال الذي يفرض نفسه لماذا يدعى شكري مصطفى أنه المهدي المنتظر وأنه بلغ درجة الاجتهاد وقد أمضى أكثر عمره في التعليم النظامي الطاغوتي حسب زعمه ؟

7- مفاصلة المجتمع والدعوة إلى الهجرة . ترى هذه الجماعة أن المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية ، ومن هنا دعوا أفرادهم إلى الاعتزال عن المجتمع، وأن يسكنوا في قرى منعزلة في الصحراء بعيداً عن المجتمع الاهلي كي يعبدوا الله وحده حتى تيسر لهم الهجرة إلى أرض الله الواسعة فراراً من سلطان الجاهلية فلجئوا إلى الكهوف والجبال والمغارات، وامتنعوا عن الزواج من أفراد المجتمع المسلم. وقالوا إن الله تعالى حرم علينا نكاح المشركات. حاشا أهل الكتاب . إنهم يشبهون الخوارج حذو القذة بالقذة.

8- الكتاب والسنة : قالوا بحجية الكتاب والسنة ، وقالوا : إن القرآن والسنة لا يحتاجان إلى تفسير، ويمكن لكل واحد أن يفهم القرآن بنفسه ويأخذ الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة دون الرجوع إلى أقوال العلماء وقالوا : "من اعتقد أن كلام الله ورسوله يحتاج إلى شرح فقد كفر لأنه اعتقد بأن كلام البشر أبين وأوضح من كلام الله"[299].

9- ردهم الإجماع . هذه الجماعة ترفض الإجماع وتنكره وتزعم أن من اعتقد بحجيته قد كفر. وذلك أنه اتخذ جمهور الناس آلهة وأرباباً من دون الله سبحانه وتعالى.

10- طعنهم الصحابة ورد أقوالهم . كعادة أهل البدع لا ترى هذه الجماعة أي فضل للصحابة, بل وشنت عليهم هجوماً عنيفاً ليثبتوا أن الصحابة ليسوا أهلا للاقتداء بهم، وينكرون أن يكون الصحابة رضوان الله عليهم

---

[298] - رسالة التوسمان – نقلاً عن محمد سرور – الحكم بغير ما أنزل الله ص 237.

[299] - محمد سرور – الحكم بغير منا أنزل الله – ص 128.

أعلم منا بأصول اللغة العربية وقواعدها، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما زعم شكري وجماعته أنهم أفضل من جيل الصحابة رضوان الله عليهم. وطبعاً هذه الأقوال تدل على ما كان يعتقده شكري مصطفى هو أنه المهدي المنتظر، ومن الغريب أن تعتقد هذه الجماعة بحجية السنة, وكيف يأخذون السنة إذا كانوا لا يرون للصحابة أي فضيلة، لأن القرآن والسنة ما بلغتنا إلاّ عن طريق الصحابة.

11- ردهم التقليد : هاجمت جماعة شكري مصطفى التقليد واعتبروه كفراً وحرموه. وأوجبوا الاجتهاد على كل فرد وقالوا في تعريف المقلد: "المقلد عندهم , المسلم بزعمهم , هو من يقلد المجتهد ويأخذ عنه المسألة الفقهية ويقبل حكمه في المسائل الفقهية من غير أن يسأله عن الدليل. وسنثبت بإذن الله تعالى أن أول كفر وقع في هذه الأمة هو كفر التقليد أو ترك الهدى , الاجتهاد , إلى التقليد قال تبارك وتعالى : {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً لاإله إلاّهو سبحانه وتعالى عما يشركون}[التوبة 31). ووصلت بهم الحماقة إلى أن أوجبوا التقليد على العامة وحرموا عليهم الاجتهاد في دين"[300]. وترى هذه الجماعة أن إباحة العلماء تقليد العامي للعالم استدراك على الله, كما يرون أن التقليد كان سبباً في الكفر وضياع دولة الإسلام.

12- القول بمرحلية الأحكم . وأنهم يسعهم ترك بعض شعائر الدين وأحكامه, كالجمعة والعيدين وارتكاب بعض المحرمات, كالزواج من الكافرات, وحلق اللحى وأكل ذبائح الكافر, لأنهم في مرحلة الضعف كالعهد المكي[301].

13- استحلال الدماء والاغتيالات للمخالفين لهم ممن كانوا معهم, ويسمونهم مرتدين, ولغيرهم من سائر المسلمين.

ترى ماذا كانت نتيجة اجتهاد هذه الجماعة. وهل نصروا للإسلام، بل هل نفعوا أنفسهم ؟ وهل جلبوا للإسلام إلاّ زيادة الفرقة والتمزيق؟ يقول الدكتور أحمد محمد جلي : "وهكذا نجد أن هذا المنهج المتمثل في الثقة والاعتزاز بالنفس وبأمراء الجماعة ، وزعمهم أنهم يمكنهم التلقي من القرآن مباشرة وأنه يمكنهم استنباط الأحكام الشرعية منه من غير استعانة بآراء علماء المسلمين. أدى بجماعة التكفير والهجرة إلى القاء التراث الفقهي للمسلمين على أساس أنه يحول بينهم وبين الفهم الحقيقي للقرآن، بل ذهبوا أبعد من ذلك كما رأينا . فردوا أقوال الصحابة التي نقلها أئمة

---

[300] - محمد سرور – ا لحكم بغير ما أنزل الله – ص 29.

[301] - ينظر في هذه النقطة والتى بعدها - العقل - دراسات في الأهواء والفرق والبدع - جـ 2. ص108- 109.

الحديث وأئمة الفقه، هذا في الوقت الذي قنعوا فيه بأقوال وتفسيرات زعمائهم الذين لم تكن لهم تجربة، ولا رصيد لهم في الفقه إلا قراءة القرآن دون معرفة وإلمام بالشروط اللازمة للتعرف على حقيقة حكم الله في المسائل واستنباط الأحكام الشرعية وهذا المنحي في التفكير شبيه تمام الشبه بموقف الخوارج الذين استندوا في تكوين أفكارهم ومعتقداتهم على فهمهم الخاص للقرآن. ولم يعتمدوا كثيراً على السنة الصحيحة الثابتة التي تبين معاني القرآن الكريم وتوجه آياته ولم يستفيدوا بما أثر عن السلف الصالح من فهم لهذا الدين وبيان لقضاياه".[302] ومن الغريب أن يمنع شكري مصطفى تقليد العلماء ومع ذلك كان يجبر اتباعه على تقليده هو، ولم يكن يسمح لأحد منهم أن يكون له رأي أو اعتراض على الأوامر التي تصدر من الأمير وإلاّ كان مصيره على خطر.

أسباب ظهور التكفير

إن قضية التكفير ليست جديدة وإنما هي قديمة . والتكفير ما هي إلا حلقة من حلقات تجدد فكر الخوارج، والأفكار لا تفني بل ربما تدخل مرحلة من السكون والكمون ثم تنفجر وتتجدد بأسلوب جديد. وهذا ما حدث في هذا العصر، حيث ظهرت هذه الجماعة وغيرها من الجماعات التي ربما لا تكفر المجتمع بأسره وإنما تكفر أنواعاً وإنماطاً من المجتمعات الإسلامية. ولظهور هذا الفكر أسباب يمكن أن نجملها ما يلي[303]:

1- الجهل المريع، وضعف البصيرة بحقيقة الدين. والجهل بأحكام الشريعة كان من أهم صفات الخوارج الذين كانوا أول من تولى وزر التكفير في هذه الأمة حتى كفروا أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وهكذا يكون الجهل أم كل الرزايا ولذلك نرى أن أمير هذه الجماعة لم يكن من أهل العلم. إن تكفير المؤمن أو إطلاق الكفر عليه ليست مسألة سهلة، ولا يتجرأ مثل هذا الحكم إلاّ من كان جاهلاً بالشريعة.

2- إتباع الهوى، وجعل التكفير وسيلة في الانتقام من المخالفين وإشهاره سيفاً مسلطاً على رقابهم هو سبب من أسباب انتشار التكفير، وهذا أمر مشهور بأهل الهوى حيث لا ينظر المرأ إلى عاقبة ما يقوله، وإنما ينطق حسب هواه ورأيه دون الرجوع إلى الكتاب والسنة، ودون الرجوع إلى أهل العلم والرأي .

3- اتباع المتشابهات وترك المحكمات من الكتاب والسنة، وهذا أثر من آثار الجهل بالشريعة، وعدم الرجوع إلى أهل العلم.

---

[302] - جلي – أحمد محمد – دراسة عن الفرق – ص 149.

[303] - ينظر في - العقل - دراسات في الأهواء والفرق والبدع - جـ 2- ص101-105.

4- انتشار الكفر والردة الحقيقية والإلحاد في المجتمعات الإسلامية واستطالة أصحابها وتبجههم بباطلهم واستخدامهم أجهزة الإعلام لنشر الكفر دونما محاسبة من أحد، لا من قبل الحكام ولا من قبل المجتمعات الإسلامية المسجونة تحت أقدام الطغاة الظالمين.
5- الاستهانة بمحارم الله وإقصاء أحكام الشريعة عن واقع الحياة، وانتشار الفساد والفسق في البلاد الإسلامية حتى أصبحت البلاد الإسلامية تشبه بلاد الكفر، دون أي فرق يذكر مما يؤجج غيرة الشباب المتحمس للإسلام.
6- محاربة الحركات الإسلامية الإصلاحية، وإضطهاد العلماء وحملة الفكر الإسلامي السليم من قبل الحكام، وامتلاء السجون بدعاة الإسلام واستخدام أقسى أنواع التعذيب مع التلفظ بألفاظ الكفر من قبل الجلادين والسجانين واستهزائهم بالدين ومن المعلوم أن الكبت والقهر قد يؤدي إلى الانفجار وإلى ظهور بعض الآراء الشاذة عكس ما كان يرجوا المتجبر.
7- إتباع المذاهب البدعية.
8- ظهور وانتشار بعض الكتب الإسلامية التي ألفت في ظروف قاسية وكانت تحمل بذور هذا التكفير.
9- تحكم الكافرين من اليهود والنصارى والملحدين والوثنيين في مصالح المسلمين وتدخلهم في شئون البلاد الإسلامية, ومصائر شعوبها عبر الاحتلال والغزو الفكري والإعلامي والاقتصادي.
10- الجفوة بين العلماء والشباب ـ ففي أغلب بلاد المسلمين تجد جفوة بين العلماء والدعاة وبين الشباب الإسلامي المتحمس ذي العاطفة الجياشة.
11- الخلل في مناهج الدعوة المعاصرة ـ إذ أن اغلبها تربي اتباعها على مجرد أمور عاطفية وغايات دنيوية, دون الاهتمام بالعلم النافع, من غرس العقيدة الصحيحة والفقه في الدين والتجرد عن الهوى والتعصب الأعمى.
12- قصر النظر وقلة الصبر وضعف الحكمة ـ فإذا لم يوجد الحكمة والصبر ولم يكن هناك من ينظر الأمور في عواقبها فسوف تكون النتيجة ظهور الغلو.
13- التشدد في الدين والتنطع والخروج عن منهج الاعتدال في الدين. ومن أسباب التشدد قلة الفقه في الدين.
14- التعالم والغرور . ومن اسباب ذلك الجهل وعدم الفقه في الدين, وغالبا ما يكون المتعالم مريضا نفسيا غير واثق بنفسه.
تلك من أهم أسباب ظهور التكفير وهناك اسباب أخرى تكثر لدى الشباب الإسلامي ولكننا نقتصر ما ذكرنا.

انتشار أفكار الجماعة في العالم الإسلامي

انتشرت هذه الجماعة في معظم محافظات مصر وفي منطقة الصعيد على وجه الخصوص ، كما انتشرت في بعض البلدان العربية مثل اليمن والأردن والجزائر والصومال وغيرها.[304] ويظهر أن هذه الفكرة أخذت الانتشار في أوائل السبعينات من القرن العشرين الميلادي، وذلك عندما وجدت الدعوة والدعاة نوعاً من التنفس في مصر بعد الكبت والاضطهاد والقهر التي مرت بها الدعوة والدعاة والمصلحون ما قبل عهد السادات. وقد استفادت هذه الجماعة تلك الفرصة حيث نظم شكري مصطفى هيكل الجماعة التنظيمي وبدأ يرسل الدعاة إلى الأقاليم ، بل وأرسل أفراداً من الجماعة إلى دول الخليج وغيرها من أجل كسب المال للجماعة. من هنا أخذت فكرة الجماعة الانتشار فدخلت تلك البلاد. ولكن انتشار الجماعة في تلك البلاد كان محدوداً حيث لم يأخذ الفكرة إلاّ قلة من الناس، خاصة وأن الفكرة كانت تلقي معارضة شديدة من قبل الدعاة والعلماء المصلحين، إذ كان العلماء يرون أن هذه الفكرة فكرة شاذة ، وأنها غلو شديد وتنطع في الدين. وبعد أن تلقت الجماعة ضربات قاسية من الحكومة المصرية، حيث ألقي القبض على كثير من أفرادها وأعدم مجموعة من قادة الجماعة, منهم أمير الجماعة شكري مصطفى، وحكم بالسجن باقي أفراد الجماعة بدأ نشاط الجماعة يتقلص في مصر وفي غيرها من البلاد. بل ربما تلاشى وجود الجماعة في بعض البلاد, ولكن في بعض البلاد لم تتلاشى وإنما دخلت مرحلة من الكمون والسكون، فإذا وجدت فرصة سانحة رفعت رأسها ورفعت عقيرتها.

ولكن فكر التكفير ظهر بصورة مغايرة لتلك الصورة، وهذه الصورة الجديدة مختلفة تمام الاختلاف عن فكر جماعة الهجرة والتكفير، وهذا الفكر الجديد هو تكفير الحكام وربما معاونيه .

أسباب انتشار فكر التفكير في العالم الإسلامي

[304] - الندوة العالمية للشباب الإسلامي . ص – 338.

إن أسباب انتشار الفكر التكفيري في البلاد الإسلامية هي نفس أسباب ظهورها، وذلك أن البلاد الإسلامية وخاصة البلاد العربية تتشابه ظروف الحياة فيها، وذلك أن معظم تلك البلاد كانت خضعت للاستعمار الأوروبي وبعد تحرير تلك البلاد من الاستعمار وأخذ الاستقلال كانت الأثار الاستعمارية باقية حيث كان الحكام من تلاميذ الاستعمار. وكانت الحكومات الإسلامية حكومات استبدادية تحكم بالحديد والنار، ولم يكن لحرية الفكر والرأي مكان في قاموس تلك الدول، إضافة إلى أن معظم رؤساء الدول الإسلامية كانوا يحاولون أقصاء الإسلام عن معترك الحياة، كما كانوا يحاولون نشر الثقافة الغربية في المجتمعات الإسلامية.

وكان المجتمع الإسلامي وخاصة العلماء والشباب المتحمس لدينهم يتوقون إلى تحكيم الشريعة الإسلامية وترسيخ العقيدة في قلوب الناس، ونشر الثقافة والتقاليد الإسلامية ، وبدلاً من أن يجد المصلحون المساعدة والعون من الحكومات، وجدوا القهر والكبت والإذلال منها ، فكان ظهور وانتشار هذا الفكر الشاذ ويمكن أن نوجز أسباب انتشار هذا الفكر في النقاط الآتية[305] :

1- الظروف القاسية التي تعيشها الأمة الإسلامية، إذ أصبحت متخلفة في شتى ميادين الحياة، اقتصادياً ، وثقافياً، وعسكرياً، فأصبحت مهينة مستضعفة ، وتسلطت النصارى على رقاب هذه الأمة.

2- الحكم الاستبدادي الجبروتي ، الذي لا يسمح حرية الرأي ، حتى بلغ الأمر أن المسلمين لا يسمح لهم أن يدعوا على الكفار، بل وبلغ الأمر حذف آيات الجهاد، وآيات الولاء والبراء من مناهج التدريس، ولا يسمح لأئمة المساجد أن يصلوا بالناس الآيات التي تتحدث عن الجهاد، أما خطب المساجد فهي معدة مسبقاً من قبل أتباع النظام.

3- اضطهاد العلماء وتضييق الخناق على المصلحين، وتغييب دورهم في توجيه الأمة .

4- نشر الفساد والفسق في العالم الإسلامي ، والسماح للمفسدين في نشر الفساد في وسائل الإعلام وإطلاق الحريات لهؤلاء المجرمين .

5- إقصاء الشريعة عن حياة الأمة، ووضع القوانين المدنية بدلاً عن حكم رب العالمين وشريعته, والعلمنة الصريحة في أكثر بلاد المسلمين.

6- ظهور علماء السوء، ممن ينافقون للحكومات التي لا تحكم بشرع الله وتصويغهم لما يفعلونه من الظلم وبحثهم عن إعذار لهواء الظالمين.

---

[305] - العقل- مصدر سابق ص 99-105.

7- الجهل عن الكتاب والسنة، وقواعد الشريعة ، وفقه الأولويات. وظهور المتعالمين من لا يفقهون الدين، وتبؤهم الصدارة، وافتائهم للشباب بما يرون، دون الرجوع إلى العلماء.

8- اعراض أكثر المسلمين عن دينهم عقيدة وشريعة وأخلاقا, اعراضا لم يحدث مثله في الإسلام. ومن مظاهر هذا الاعراض كثرة البدع والعقائد الفاسدة, وما نتج عن ذلك من الافتراق والفرق والأهواء والتنازع والخصومات في الدين, وقوع أكثر المسلمين في التقصير عن حق الله تعالى وارتكابهم الذنوب والمعاصي والمنكرات, والاستحلال بذلك وبكثير من المحرمات. وكذلك ظهور الزندقة والتيارات الضالة, والتنكر للدين والفضيلة, والتعلق بالشعارات والمبادئ الهدامة والأفكار المستوردة من الأمم الغير الإسلامية.

9- شيوع الظلم بشتى أنواعه وصوره سواء كان ظلما بين الأفراد أو ظلما بين الشعوب أو ظلم الولاة وجورهم وتسلطهم على رقاب شعوبهم. كل هذه الأسباب وغيرها هي الأسباب التي سهلت انتشار هذا الفكر، ومن الأمور العجيبة كيف انتشر هذا الفكر بهذه السرعة .